جامعـــة عمار ثليجي بالأغـــــــواط

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

الميدان : العلوم الإنسانية و الاجتماعية

شعبة :العلوم الانسانية

ثورات الطرق الصوفية ضد السلطة العثمانية أواخر العهد العثماني بالجزائر "الدرقاوية و التجانية نموذجا "

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

التخصص : تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر

من إعداد الطالبة :

زهرة هيزوم

تحت اشراف الاستاذ :

–معمر جعيرن

السنة الجامعية 2015/2014

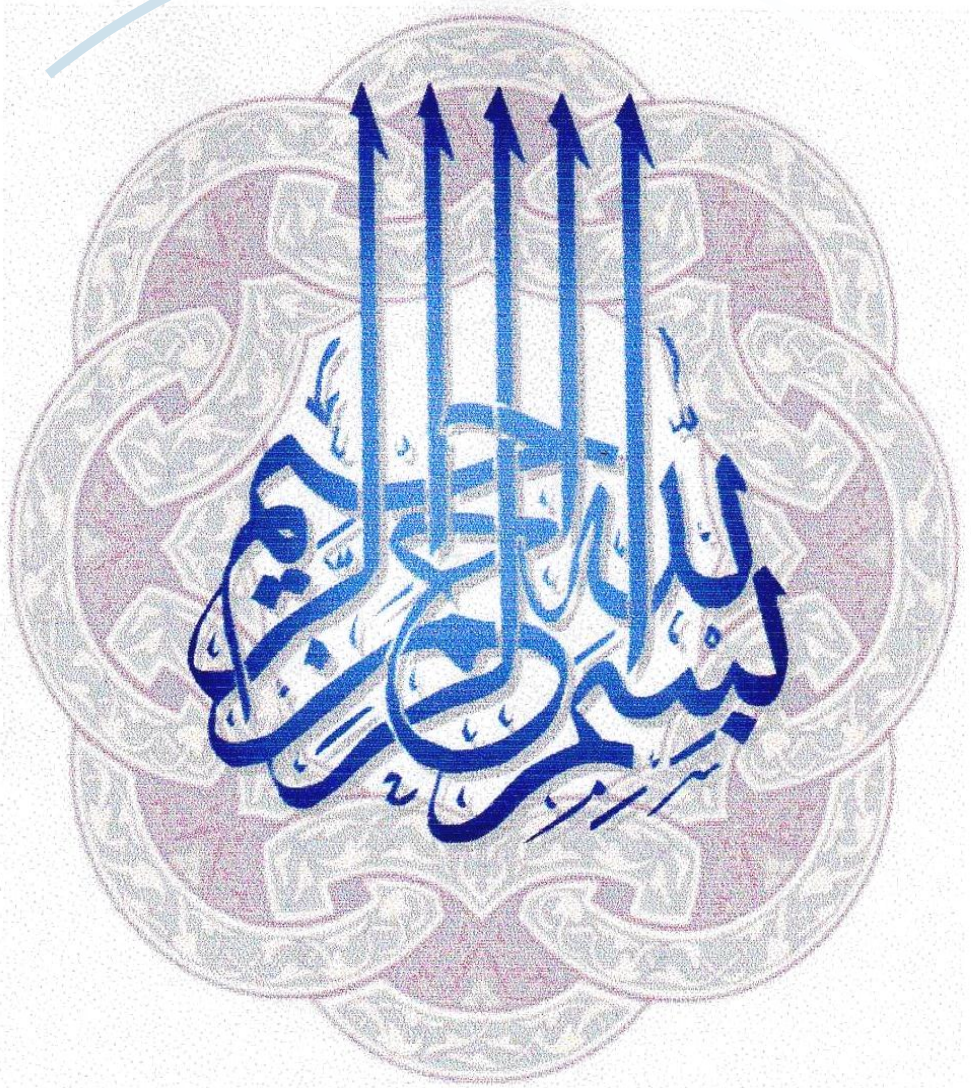
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وعرفان

الشكر لله تعالى الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على آداء هذا الواجب

ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل المتواضع .

اتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهته من صعوبة، و اخص بالذكر الاستاذ المشرف "معمر جعيرن " و

الاستاذ " بومدين كعبوش "

كما اتقدم بجزيل الشكر الى كل أساتذة التاريخ كل باسمه فلهم خالص الشكر و

التقدير .

إلى كل من أسهم في انجاز هذا العمل سواء من بعيد أو من قريب .

زهرة

قائمة المختصرات:

✓ ج	----------	جزء
✓ د ط	----------	دون طبعة
✓ د ت	----------	دون تاريخ
✓ د – م	----------	دون مكان طبع
✓ ط	----------	طبعة
✓ مج	----------	مجلد
✓ ن ص	----------	نفس الصفحة
✓ ص	----------	صفحة
✓ ع	----------	عدد
✓ ع ص	----------	عدد الصفحات
✓ تح	----------	تحقيق
✓ تر	----------	ترجمة
✓ تع	----------	تعريب
✓ تق	----------	تقرير
✓ ANNEE	----------	A N
✓ NUMERO	----------	N
✓ REVUE AFRICAN	----------	R A
✓ مجلة العالم الاسلامي	----------	R O M M

مقدمة

مقدمة :

تكمن أهمية الحديث عن الطرق الصوفية كونها فرضت نفسها على الساحة السياسية و الثقافية و الاجتماعية، فكانت مرآة عاكسة للمجتمع الجزائري في فترة حكم العثمانيين بالجزائر ، ففي العهود الأولى من هذه الفترة وجدت الطرق الصوفية كل التشجيع و الترحاب حيث شاع في الجزائر التحالف بين العثمانيين و المتصوفين فعرف الناس أن هناك سياسة عامة متبعة وبذلك كثرت الأضرحة و القباب و دخلت الطرق الصوفية من المشرق و المغرب و أخذ المتصوفون والدعاة ينشرون أفكارهم وأورادهم بين الناس.

فظهرت العديد من الطرق الصوفية ومن أهمها على الإطلاق : الطريقة القادرية، الطريقة الرحمانية، الطريقة الشاذلية الطريقة التيجانية والطريقة الدرقاوية. وعلى إثر هذه الطرق لمعت أسماء كثيرة من المتصوفة و نذكر على سبيل المثال: محمد بن عبد الرحمان القشطولي الجرجري مؤسس الطريقة الرحمانية وأحمد التيجاني، و عبد القادر بن شريف الدرقاوي...إلخ.

لقد ساهمت هذه الطرق الصوفية في الدفاع عن الوطن، فكانت من وراء تعبئة الشعب و تحريكه باسم الجهاد في سبيل الله ، خاصة أثناء الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية، كما وقفت أيضا في وجه استبداد بعض الحكام و البايات العثمانيين لاسيما في أواخر حكم الدايات و هي الفترة التي اتسمت فيها السياسة العثمانية بالعداء لرجال الطرق الصوفية للحد من سلطتهم و نفوذهم الذي أخذ ينمو بشكل جعل سلطتها الرسمية شكلية في بعض المناطق.

جرى هذا في الوقت الذي كان فيه الحكام العثمانيون بالجزائر في أمس الحاجة إلى الأموال بعد أن تضاءلت الغنائم البحرية، نتيجة تغير الظروف الدولية و انقلاب ميزان القوى في البحر المتوسط ،حيث لم يعد نشاط البحرية يجني أرباحًا ولا مداخيلاً للخزينة.

أمام هذه التقلبات لم يجد الحكام بدا من تحويل أنظارهم نحو الداخل بفرض ضرائب جديدة على الرعية، وإخضاع المناطق التي لم تنلها يدهم من قبل ،فأصبحت عملية جباية الضرائب تتم تحت الضغط و التهديد بواسطة الحملات العسكرية المتتالية .

وقد عاشت كثير من المناطق هذه الحملات، مما أدى إلى ثوران بعض الطرق الصوفية على السلطة العثمانية والدخول في الصراع معها و من تلك النماذج نذكر : الثورة الدرقاوية ،و الثورة التيجانية و اللتان كانتا من أشد الأزمات الداخلية أواخر الحكم العثماني بالجزائر حيث شغلت هذه الثورات الدولة على مواجهة الأزمات الخارجية المتمثلة في التكتلات الأوروبية و التي ستؤدي –الثورات- بدورها إلى سقوط نظام الدايات و تعرض الجزائر إلى الاحتلال الفرنسي 1830م

لقد وقع اختياري لهذا الموضوع لاعتبارات كثيرة منها أن موضوع الطرق الصوفية بصفة عامة يُدرس من الجانب الفقهي ،وإن كان موضوع دراستي يتعلق بالثورات الصوفية فإنه لابد من التطرق إلى ظاهرة الطرق الصوفية بكل جوانبها في العهد العثماني باعتبارها الفترة المدروسة.

وبغض النظر عن البعد العقائدي فإنه يجب علينا أن نقف على المواقف السياسية و على هذا الأساس فالموضوع يقوم على معالجة مسألة أساسية تتصل بالتاريخ السياسي و الواقع الروحي للجزائر أواخر العهد العثماني و هو يتمثل أساسا في موضوع الثورات التي قامت بها الطرق الصوفية أواخر العهد العثماني.

و الموضوع يطرح تساؤلات أساسية تمحورت حول تحول الطرق الصوفية من عامل وحدة إلى عامل تفكك من خلال فهم طبيعة التمردات التي قامت بها، فحاولت من خلال هذه الدراسة الإجابة على تساؤلات تقوم على: ما دور الطرق الصوفية في المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية؟ وما هي أسباب تحول هذه الطرق الصوفية من حليف السلطة العثمانية إلى عدو لها؟ هذا التساؤل بدوره يطرح تساؤل آخر يتعلق به: ماهي نتائج هذا الصراع القائم بينهما ؟ وما مدى نجاح الطرق الصوفية فيه؟.

إن هذه الإشكالية تتجاوز ما تعارفت عليه الدراسات التي تناولت هذا الموضوع و التي عالجت موضوع الطرق الصوفية و ما قامت به من ثورات من جانب عقائدي فقهي باعتبارها ظاهرة اجتماعية أكثر من أن تكون حدث سياسي.

وقد اعتمدت في انجاز هذا البحث منهجًا يجمع بين الأحداث و تحليلها لاستخلاص بعض الرؤى التي من شأنها أن تقربنا أكثر من حقائق الأمور.

و قد قسمت بحثي إلى خطة ضمت فصل تمهيدي، وفصلين، اندرجت تحت هذه الأخيرة مجموعة من المباحث، وقد جاء هذا التقسيم بناءا على أهمية المواضيع و مكانها المنطقي في البحث.

أمَا الفصل التمهيدي الموسوم بـــ: **"نبذة تاريخية عن التصوف"** فاندرج ضمنه ثلاث مباحث. حاولت في المبحث الأول إعطاء مفاهيم حول التصوف، ثم جاء المبحث الثاني الذي تطرقت فيه إلى ظهور التصوف في الإسلام، في حين تناول المبحث الثالث ظهور التصوف في الجزائر.

ثم كان الفصل الأول المعنون بـــ: **"الطرق الصوفية الجزائر في العهد العثماني"** الذي اشتمل على ثلاث مباحث، فتناول المبحث الأول أهم الطرق الصوفية في الجزائر العثمانية، وتناول المبحث الثاني دور الطرق الصوفية في المجتمع الجزائري في العهد العثماني، أما المبحث الثالث فقد أعطانا نظرة عن تحالف الطرق الصوفية مع السلطة العثمانية.

كما ضم الفصل الثاني المعنون بـــ: **"صراع السلطة العثمانية مع الطرق الصوفية"** أربع مباحث تم في الفصل الأول شرح أسباب صراع السلطة العثمانية مع الطرق الصوفية، أما المبحث الثاني فقد صور لنا تمرد الطريقة الدرقاوية على السلطة العثمانية و جاء المبحث الثالث على شكله في تصوير تمرد الطريقة التيجانية، وفي المبحث الثالث تم التطرق إلى نتائج هذا الصراع.

ثم خاتمة التي ضمت مجموعة من الاستنتاجات، وكانت هذه الأخيرة عبارة عن حوصلة عامة للموضوع. كما ألحقت بآخر هذه الدراسة مجموعة من الملاحق المتصلة بالبحث اتصالا أساسيا.

و قد عمدت إلى البحث عن المادة العلمية في مختلف المصادر و المراجع التاريخية على الرغم من أنها لا تمثل سوى نصوص قليلة متفرقة .

وقد تنوعت المصادر المعتمد عليها في هذه الدراسة، بين مصادر و دراسات محلية وأخرى أجنبية، والتي كان استعمالها كل حسب القيمة التاريخية للمادة المستقاة منها و مدى مساهمتها في إثراء جزئيات هذا البحث. وتم تصنيفها حسب أهميتها في إثراء هذا البحث على الشكل التالي:

"**محمد بن يوسف الزياني**" في كتابه "**دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران**" الذي يعد من المصادر الأساسية لأحداث الثورات الصوفية بالغرب الجزائري، كما اعتمدت على كتاب "**طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م**، لـــ"**الآغا بن عودة المزاري**"، الذي يعد كذلك من المصادر المهمة في التأريخ للطريقة الدرقاوية وأحداثها بالغرب الجزائري، و كذلك كتاب "**أنيس الغريب والمسافر**" لـــ"**مسلم بن عبد القادر**" الذي تناول ثورات الطرق الصوفية و الوضع الاقتصادي والاجتماعي السائد في تلك الفترة، ثم "**صالح العنتري**" في كتابه "**مجاعات قسنطينة**"، ومذكرات "**أحمد الشريف الزهار**" الموسومة بـــ"**مذكرات نقيب أشراف الجزائر**".

أما المصادر الأجنبية التي اهتمت بالطرق الصوفية و ثوراتها وشيوخها و مواقفها نذكر:

"**Marabouts et Khouans étude sur l'Islam en Algérie**"

لصاحبه "**RINN, LOUIS**"الذي وضع إحصاءات للزوايا في الجزائر سنة 1884م.

و كتاب:

"**Les khouans ordre religieux chez les musulmans de l'Algérie**"

لصاحبه « **DE NEVEU** »الذي اعتبر الزوايا مراكز للتآمر وإشعال فتيل النار. وكذلك " **Octave dépôt ; Xavier coppolani**"في كتابهما:

"**les confréries religieuses musulmanes**"اللذان أرخا للطرق الصوفية في الجزائر.

كما اعتمدت على مجموعة من المراجع، فأما المكتوبة باللغة العربية فنذكر أهمها: كتاب "**تاريخ الجزائر الثقافي**" بمختلف أجزائه لصاحبه "**أبو القاسم سعد الله**"، الذي يعتبر من أهم المراجع التي أرخت لتاريخ الجزائر الثقافي من خلال الوثائق الأرشيفية، ويليه كتابات "**ناصر الدين سعيدوني**" المختلفة من أهمها "**دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر العثماني**"، بالإضافة إلى كتاب "**الجزائر في تاريخ العهد العثماني**" الذي شاركه في إنجازه المهدي البوعبدلي، كما تم الاعتماد على المرجع الموسوم بـــ"**الجزائر خلال الحكم التركي**" لصاحبه "**صالح عباد**" كما أفادني "**يحي بوعزيز**" في كتاباته أهمها كتاب " **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين،ج1**"

أما المراجع الأجنبية فقد اعتمدت على "**Chevalier Corine**" في كتابه "

Les trente premières années de letrovale d'Algérie « 1510-1541»

كما اعتمدت على بعض الدوريات منها ما كان باللغة العربية و منها ما كان باللغة الأجنبية، فأما اللغة العربية فنذكر "**مجلة سيرتا**" في مقال بعنوان "**حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**" لصاحبه "**مسعود العيد**".

أما فيما يخص الرسائل الجامعية فقد اعتمدت بالرجة الأولى على رسالة ماجستير موسومة بـــ: "**الطريقة التيجانية و موقفها من الحكم المركزي بالجزائر**" لصاحبها" **بن يوسف تلمساني**" كما وفرت لنا بعض المواقع الإلكترونية ، مقالات مهمة تخص موضوع الدراسة.

ومن خلال انجاز هذه الدراسة واجهتني بعض الصعوبات، من جملتها التداخل بين المفاهيم العقائدية و المواقف السياسية، وما يزيد من صعوبة البحث في تاريخ الجزائر العثماني كونه يمتاز بتكرار المادة التاريخية في مجمل المصادر و المراجع المعتمد عليها، كما أن المصادر التاريخية المختصة تميزت في الكثير من الأحيان بالاختصار و عدم الدقة في سرد وقائع وأحداث حركات التمرد التي قامت بها بعض الطرق الصوفية.

فصل تمهيدي :

نبذة تاريخية عن التصوف

المبحث الأول : مفاهيم عامة حول التصوف .

المبحث الثاني : ظهور التصوف في الاسلام .

المبحث الثالث : ظهور التصوف في الجزائر .

يتطلب الحديث عن الطرق الصوفية وما قامت به سلبا و ايجابا منذ وصولها إلى بلاد المغرب عامة والجزائر خاصة، تقديم لمحة عن تاريخ التصوف في الإسلام، فموضوع التصوف والطرق الصـــوفية ذو أهمية بالغة في حياتنا الفكرية المعاصرة، كما يعتبر من القضايا المعقدة في تاريخنا الثقافي والديني، إذ لم يتم الفصل فيه برأي نهائي فالكثير من الباحثين مازال يتردد بين الإعلاء من قيمة هـــذه الظـــاهرة الدينية و بين الحط منها .

ولقد اختلفت أراء الباحثين في ظاهرة التصوف التي سادت في المغرب العربي الحديث، فمنـــهم من وجد فيه عنصرا ايجابيا في توجيه الحياة الاجتماعية العقلية و السياسية و بعث التقاليد الإسلامية في كثير من الجماعات البربرية عن طريق الدعوة إلى الجهاد و بث الحماسة في السكان لمقاومة الغزو الصليبي. [1]

في حين رأي آخرون أن ظاهرة التصوف حملت الكثير من الجوانب السلبية التي أدخلتها علـــى الحياة الدينية الاجتماعية من البدع والانحراف عن العقيدة السلمية.[2]

المبحث الأول : مفاهيم عامة حول التصوف

أ- أصل مصطلح التصوف و اشتقاقه

اختلف المتحدثون عن التصوف و أهله في أصل الكلمة و اشتقاقها و كذلك اختلفوا في نســـبة الصوفية اختلافا كبيرا، و هذه بعض أقوالهم وآرائهم في ذلك:

فمنهم من نسب المصطلح إلى "الصفاء حيث قال **أبو الفتح السبتي**[3]:

تنازع الناس في الصوفي و اختلفوا وظنه البعض مشتقا من الصوف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صفا فصوفي حتى سمي الصوفي

ومنهم من قال :"الصفاء محمود بكل لسان، و ضده الكدور، و هي مذمومة".فهذا"**عبد الله بن نوفل**" يذكر حادثة خروج الرسول صلى الله عليه و سلم متغير اللون فقال حينها :"**ذهـــب صـــفو**

---

[1] – من بين هؤلاء نذكر: عبد الرحمن الجيلالي, **تاريخ الجزائر العام** ، ج3، دار الثقافة ، بيروت ، 1980 ،ص-ص،149- 150.

[2] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن(10-14هـ)/(16-20م)**، ج1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1981, ص- ص.529-530.

[3]– عيسى عبد القادر، **حقائق عن التصوف**، ط15، دار العرفان، سوريا حلب، 1427 هـ/2006م، ص20.

الدنيا وبقي الكدر، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم" [1] .فنستنتج بأن المصطلح ينسب إلى "الصَّفوة"، و هذا ما ذهب إليه أيضا الإمام "القشيري".[2]

وقيل مشتق من الصوف لأنه "زي أهله غالبا آثروه تواضعا وتقللا من الدنيا إتباعا للسلف"، أو لأنهم يرون أنفسهم "كصوفة" ملقاة في الأرض، لقول الشيخ "**أبو الحفص الفاسي**" "ظهر لي أنه منسوب إلى الصوف لأنه في الغالب شعاره و دثاره، و لأنّ هذا اللفظ مشتمل على ثلاث أحرف متقطعة من ثلاث كلمات دالة على معان ثلاثة و هي أوصافه المختصة به، فالصاد من الصفاء والواو من الوفاء و الفاء من الفناء".[3]

و منهم من قال: أنه من " الصِّفَة " إذ جملته اتصاف بالمحاسن وترك الأوصاف المذمومة.[4]

وذهب فريق إلى أن التصوف هو: "من الصُفَّة" لأنّ صاحبه تابعٌ لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف " ، في قوله سبحانه وتعالى : " **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** " .[5]

وقيل: "من الصَّف" فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث حضورهم مع الله تعالى، وتسابقهم في سائر الطاعات، و لأنهم أيضا منسوبون إلى الصف الأول المتقدم في الصلاة ،وهذا غير مستقيم لغة، فلو نسبوا إلى الصف الأول لقيل" صَفِّي" .[6]

وقيل أنه نسبة إلى رجل جاهلي يقال له صوفه – وهو" **الغوث بن مر بن آدم بن طنجة بن الياس بن مضر**" – ذلك أن أم الغوث نذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة وتجعلنه ربيط الكعبة

---

[1]– أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية** ، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، 1418 هـ/1998م،ص311.

[2]– المصدر نفسه،ص312

[3]– أحمد الفاسي، **حاشية ابن حمدون على ميارة** ، ج1،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ،ميارة ، د ت ،ص116.

[4]– المصدر نفسه، ج1، ص116

[5]– سورةالكهف،الآية،28،ومعنى الآية الكريمة هو أنه يصبر نفسه مع المؤمنين الذين يعبدون الله صباحا ومساء يتحرون طاعته ولا تتجاوزهم عيناك تريد زينة الحياة الدنيا ،ولا تطع من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا واتبع هواه ،و كان أمره تقدما على الحق ونبذا له. ينظر: وجدي محمد فريد ،المصحف المفسر، ديوان المطبوعات الجامعية، ج1 ، الجزائر ،د ت ،ص384.

[6]– أحمد علي حسن، **التصوف جدلية وانتماء** ، منشورات اتحاد كتاب العرب، سورية ، 1990،ص18.

فكان بذلك أول من انفرد لخدمة الكعبة و تبعه أناس كثيرون فكان كل من تشبه بـــه فهـــو مـــن الصوفية .[1]

وقيل: أن أصل التصوف منسوب إلى" صوفه" فقال " **ابن الجوزي**" " قال :**أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ** قال: سألت **وليد بن القاسم** إلى أي شيء نسب الصوفي، فقال :كـــان قـــوم في الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عزّ وجّل، و قطنوا الكعبة ، فمن تشبه بهم فهم الصوفية هذا ما أكده أحد المؤرخين حين ذكر بأن هؤلاء معروفون بصوفه ولد الغوث بن مر بن أخي تميم بـــن مر.[2]

أما "**أبو نعيم الاصبهاني**" فعرف التصوف في حليته بـــ: "واشتقاقه من حيـــث الحقـــائق الـــتي أوجبت اللغة فإنه تفعل من أحد أربعة أشياء ،من الصوفانة، وهي "بقلة رعناء قصيرة" ،أو من صوفة وهي " قبيلة كانت في الدهر الأول تجيز الحاج و تخدم الكعبة"، أو من صوفة القفا و هي الشـــعرات النابتة في متأخرة، أو من الصوف المعروف على ظهور الضأن.[3]

في حين ذكر "**ابن لجوزي**" فيما يرويه عن المصنف ": وهؤلاء القوم إنما قعـــدوا في المســـجد ضرورة، و إنما أكلوا الصدقة ضرورة، فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال و خرجوا عنها". و نسبة الصوفي إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفي. و قد ذهب أيضـــا إلى أنه من "الصوفانة وهي بقلة رعناء قصيرة"، فنسبوا إليها لاجتزائهم بنبات الصحراء كمـــا أورد رأي آخر ذكر من خلاله أنه منسوب إلى "صوفة القفا ". وهي" الشعرات النباتية في القفا " كأن الصوفي " عطف به إلى الحق و صرفه عن الخلق".[4]

ومنهم من قال: "أن التصوف نسبة إلى لبس الصوف الخشن، لأن الصوفية كانوا يؤثرون لبســـه للتقشف و إن لبس الصوف أمر ظاهر و الحكم بالظاهر أسلم وأولى في سبتهم إلى حال أو مقام لأنه أمر باطن، و أيضا لأن القول بأنهم صوفية للبسهم الصوف أبعد عن الرياء و أقرب للتواضـــع و إن

---

[1]- أحمد الفاسي، المصدر السابق ،ص117.

[2]- ابن الجوزي، **تلبيس ابليس** ، دار القلم، بيروت، د ت، ص156.

[3]- أبو نعيم الأصبهاني ،**حلية الاولياء و طبقات الاصفياء**، ج1، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1400هـــ، ص17

[4]- ابن الجوزي، المصدر السابق ، ص157.

هذا الرأي قد سلم مما توجه إلى غيره من الآراء فإنه يوافق قواعد اللغة من حيث النسبة والاشـــتقاق لأنه يقال "تقمص" لمن لبس القميص و"تصوف" لمن لبس الصوف.[1]

وبسبب المشابهة الصوتية بين كلمة (صوفي) الكلمة اليونانية (صوفيا), وكذلك لوجـــه الشـــبه الموجود بين كلمة (تصوف)،(tuassofia)، (تيوصوفيا)، وأن كلمتي صوفي وتصوف أخـــذتا مـــن الكلمتين اليونانيتين (سوفيا) و

(تيوسوفيا) إلا أن "**نودلكه**"[2] أثبت خطأ هذا الزعم كما أيده في ذلك " **نيكلسون**"،و"**ماسينيون**" و بالإضافة إلى البراهين القوية الأخرى التي أقامها " **نولدكه**"، فإنه يدل على أن (س) اليونانية نقلت إلى العربية كما هي سينا،

لا صادا، كما أنه لا يوجد في اللغة الآرامية كلمة تعد واسطة لانتقال سوفيا إلى الصوفي.[3]

ومهما يكن من أمر, فإن التصوف أشهر من يحتاج في تعريفه إلى قياس لفظ ، احتياج اشـــتقاق، وإنكار بعض الناس على هذا اللفظ بأنه لم يسمع في عهد الصحابة والتابعين مردود ، إذ كثير مـــن الاصطلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة، و استُعملت و لم تُنكَر، كالنحو و الفقه والمنطق.

ب–مفهوم التصوف و اصطلاحه:

يتطلب منا معرفة التصوف اصطلاحا الرجوع إلى أقوال الصوفية، أنفسهم في ماهية التصـــوف، فمنذ نشأة الصوفية إلى يومنا هذا حدث فيها تشعبات كثيرة وانحرافات عن منهج الأوائل و كثرت أقوالهم في حقيقة التصوف وتعددت، وكل قول من هذه الأقوال يشير إلى أهم جانب في التصـــوف عند قائله سواء بالنظر إلى الطريقة أو الغاية ،أو إلى حاجة الصوفي، أو من حوله وبالنظر إلى حاله والخطأ الذي يريد أن يقومه.

وهذه بعض النماذج من أقوالهم في الموضوع إذ ذكر "**السهروردي**"[1] بأن أقـــوال المشـــائخ في ماهية التصوف تزيد عن ألف قول[2].

---

[1] – القشيري ،المصدر السابق ،ص311.

[2]– **ثيودور نولدكه** : (1836م – 1930م) يعد شيخ المستشرقين الألمان. ولد عام 1836 في هامبورغ، أتقن العربية، العبرية، والسريانية. درس في غوتنغن وفيينا وبرلين وليدن. حصل على الدكتوراه عام 1856م وهو في سن العشرين عن تاريخ القرآن. عين مدرساً للتاريخ الإسلامي في جامعة جوتنجن عام 1861. وأستاذ التوراة واللغات السامية في كييل عام 1864 ينظر : عبد الله النعيم ، **الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية للاراء(وات–بروكلمان–قلهاوزن)مقارنة بالرؤية الاسلامية ،ط1**، المعهد العلمي للفكر الإسلامي ،د م ط، د ت ،ص 61

[3] –قاسم غني، **تاريخ التصوف في الاسلام**، تر : صادق نشأت ، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د ت، ص– ص 67-68.

فيقول "**القاضي شيخ الاسلام زكريا الانصاري**" في التصوف أنه: "علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، و تصفية الأخلاق و تعمير الظاهر و الباطن لنيل السعادة الأبدية".[3]

والرأي نفسه ذهب إليه الشيخ " **أحمد زروق**" فقال بأنه :"علم قصد إصلاح القلوب، وإفرادها لله تعالى عما سواه، والفقه لإصلاح العمل وحفظ النظام وظهور الحكمة بالأحكام، وأصول علم التوحيد لتحقيق المقدمات بالبراهين، وتحليه الإيمان بالإيقان .[4]

أما الإمام "**الجنيد**"[5] فعرف التصوف بأنه: "استعمال كل خلق سني، و ترك كل خلق دني و ذكر مع إجماع ،ووجد مع استماع، و عمل مع إتباع ،والصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح".[6] و بهذا فهو القائل بأنه: " الطريق إلى الله مسدود على خلق الله عز و جل، إلا على المتقين آثار رسول الله صلى الله عليه و سلم و التابعين لسنته "، كما قال عز و جل في محكم تنزيله: "**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**" [7] و ما أخذنا في التصوف ليس عن القيل و القال لكن عن ترك الدنيا و قطع المألوفات و المستحسنات لأنه هو صفاء المعاملة مع الله تعالى.[8]

---

[1]- **السهروردي** : هو شهاب الدين أبو حفص السهروردي البغدادي، أحد علماء أهل السنة و من أعلام التصوف السنيفي القرن السابع الهجري، ولد سنة 539هـ ببغداد ، و قدم من سهرورد فأخذ الفقه و الوعظ و التصوف عن عمه أبا النجيب كما لازم عبد القادر الجيلاني ، توفي سنة632 هـ ببغداد و دفن فيها و بني على قبره منارة. ينظر : الذهبي ،**سير أعلام النبلاء**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2003،ص110.

[2]- السهروردي ،**عوارف المعارف**، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1403هـ،ص57

[3]- القشيري، المصدر السابق ،ص313

[4]- عبد القادر عيسى ،المرجع السابق ،ص17

[5]-**أبو القاسم الجنيد:** هو محمد بن الخراز- نسبة إلى نسج الثياب- ،ويقال له أيضا "القواريري" لأن أباه كان يبيع الزجاج . كان أبو القاسم يفتي في حلقته وهو ابن العشرين . سنة. صنفه "السبكي" من صوفية القرن الثالث الهجري هؤلاء عرفوا "بأنهم أعمق روحانية و أكثرهم خصبا بل أكثرهم دقة" فهو بذلك جمع بين الحقيقة و الشريعة. توفي سنة 297هـ/909م.ينظر: جلال شرف، **دراسات في التصوف الإسلامي** ، دار المعرفة الجامعية، الجزائر، د ت، ص- ص 294-295.

[6]- القشيري، المصدر السابق ،ص313

[7]- سورة الأحزاب، الآية21

[8]- جلال شرف، المرجع السابق، ص- ص242- 243

أما التصوف عند **ابن تيمية**[1] فقد حدده بقوله: "الصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم في أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، و فيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمن، و في كل من الضفتين منقد يجتهد فيخطئ، ومنهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو عاص لربه ظالم لنفسه[2].

والرأي نفسه أكده أبو **الحسن الشاذلي** [3]بقوله :"التصوف تدريب النفس على العبودية، و ردها لأحكام الربوبية "[4].

في حين عرف **ابن عجيبة** التصوف بأنه "علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوله علم، ووسطه عمل، و آخره موهبة[5].

أما "**عبد القادر عيسى**" فعرفه فيما يرويه عن صاحب " كشف حاجي خليف الظنون" بأنه علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم..." إلى أن قال:

علم التصوف علم ليس يعرفه إلا أخو فطنة بالحق معروف

وليس يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف[6]

---

[1]- **ابن تيمية** : هو أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ولد في ربيع الأول 661هـ / 1262 م . استقر في دمشق و توفي بها، وبعد وفاة والده تولى مكانه مهمة تدريس المذهب الحنبلي وعمره لا يتجاوز الواحد و العشرين سنة .في عصره كثرت الطرق الصوفية و حاربها بقلمه ، مثالا على ذلك ما حصل له في سنة702 هـ/1302م اذ وقع بينه و بين شيخ الطريقة الأحمدية خلاف كبير نوفي على إثره إلى مصر . توفي سنة 705 هـ/ 1305م. و من بين مؤلفاته نذكر "الفرقان بين الحق و الباطل" ، و" مجموع فتاوى" .ينظر : عبد الحليم ابن تيمية ، **الفرقان بين الحق و الباطل** ، نع: يوسف غزال ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، د ت، ص3.

[2]- عبد القادر صالح ،**العقائد والأديان** ، ط1 ، دار المعرفة، لبنان، 2003، ص202.

[3]- **أبو الحسن الشاذلي** :أصله من المغرب ، ارتحل إلى المشرق وهناك اطلع على أصول التصوف و أخذ بمبادئه ، وعند رجوعه رجوعه التقى بالشيخ محمد بن عبد السلاو بن مشيش الذي أشار إليه بالتوجه إلى تونس فاستقر بشاذلة وهي قرية قرب زاوية سيدي علي الحطاب أين رابط بمغارة في جبل جلاز، وهناك أقام زاويته ،ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج1، ص542.

[4]- عبد القادر صالح، المرجع السابق،ص202

[5]- المرجع نفسه،ص203.

[6]- عبد القادر عيسى، المرجع السابق ، ص18

والرأي نفسه أكده الشيخ "**زروق**" إذ ذكر بأن عماد التصوف هو: "تصفية القلب من أوضار المادة، وقوامه صلة الإنسان بالخالق العظيم، فالصوفي من صفا قلبه لله، و صفت لله معاملته، فصفت له من الله تعالى كرامته". [1]

وبالنظر إلى أقوال المتقدمين نجد أن كل تعريف من تعريفات أئمة التصوف والمنتسبين إليه يشير إلى جانب من الجوانب، و هذه الأخيرة مجتمعة تشير إلى أمور عظيمة في هذا الدين، فـ"التصوف السني" ينبغي أن يتوفر فيه جميع ما ذكر من زهد و إخلاص و مجاهدة و خلق كريم وتسليم لرب العالمين و التزام بشرعه وترك للتكلف، و أن يلتزم بالعبادة الدائمة لله عز و جل كما أمر، والبعد عن كل ما نهي الشارع عنه، من البدع المضلة، وعن الفكر الغريب، و الفلسفات الباطلة.

ويترجح لدينا بعد عرض تلك التعريفات السابقة للتصوف أن هذا الأخير يدل دلالة واضحة على معاني التصوف المتعددة، و على أحوال الصوفية و اهتماماتهم "بالعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى و الإعراض عن زخرف الدنيا و الزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه و الانفراد عن الخلق في الخلوة للعباد.[2]

المبحث الثاني : ظهور التصوف في الإسلام (بدء التصوف و تطوره)

لقد اختلف المؤرخون في تاريخ بدء ظهور هذا المصطلح واستعماله، كاختلافهم في أصله و تعريفه، فذكر "**ابن تيمية**" و سبقه " **ابن الجوزي**"، و" **ابن خلدون**" في هذا أن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة الأولى، و إنما اشتهر التكلم به بعد ذلك و قد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة و الشيوخ كالإمام "**أحمد بن حنبل**"، و"**أبي سليمان الداراني**" و غيرهما، و قد روى عن "**سفيان الثوري**" أنه تكلم به[3] وبعضهم يذكر ذلك عن "**الحسن البصري**" .[4]

1- المرجع نفسه ، ص19.

2- عبد الرحمن بن خلدون ، **المقدمة** ، بيت الفنون والعلوم والآداب، الجزائر، 2006،ص49.

3- عبدا لحليم ابن تيمية، **الصوفية والفقراء** ، دار الفتح ، القاهرة، 1984م، ص5.

4- **الحسن البصري**: ولدسنة21هـ ،تفقه بالعلوم في المدينة وكان مفهومه للزهد يختلف عن الصوفية في أن الرسالة الزهدية عنده هي رسالة أخلاقية. ارتدى لباس الصوف وكان يرى أن التبتل إلى الله لا ينافي الواجب . ينظر : توفيق بن عامر ،**دراسات في الزهد والتصوف**، ط1 ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا- تونس، 1981،ص 16.

وذهب "**ابن خلدون**" إلى أن هذا العلم –يعني التصوف– هو من "العلوم الشرعية الحادثة في الملّة، و أصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة و كبارها من الصحابة و التابعين ومن بعدهم طريقة الحق و الهداية". أما أصلها فهو العكوف على العبادة، و الانقطاع إلى الله تعالى، و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها، و"الزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه، و الانفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة، و كان ذلك عاما في الصحابة و السلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني و ما بعده، و جنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية".[1]

ونستنتج من رأي "**ابن خلدون**" حول تاريخ ظهور التصوف كان في القرن الثاني للهجرة، عندما جنح الناس إلى مخالطة الدنيا وأهلها, فإن ذلك من شأنه أن يتخذ المقبلون على العبادة اسما يميزه عن عامة الناس الذين ألهتهم الحياة الدنيا الفانية.

أما "**الحسن البصري**" فقد استند إلى تأريخه لظهور التصوف بحادثة قال في شأنها ما يلي:

"رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه و قال معي أربع دوانيق يكفيني ما معي"

و يشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال: "لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء. وهذا كله يدل على أن مصطلح التصوف لم يعرف قديما، و أنه يعود إلى المائتين من الهجرة العربية" [2]

أما "**عبد الغني قاسم**" فذكر بأن بذور التصوف في سماء الفكر الاسلامي ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري "على هيئة نزعات شديدة من الزهد في متاع و زخرف الدنيا نتيجة ما وقع فيه العالم الاسلامي وقتئذ من حوادث شديدة أثرت تأثيرا كبيرا في جميع جوانب الحياة".[3]

في حين ذهب "**عبد القادر الجيلاني**"[4] إلى أنه على عهد النبي صلى الله عليه و سلم كان اسم الصحابة يطلق على أكابر الأمة، فالتابعين ثم أتباع التابعين، إلى أن صار يطلق على من يعتنون بأمر الدين أكثر من غيرهم اسم الزهاد والعباد، "وبعد ظهور أهل البدع و ادعائهم الزهد والعبادة انفرد

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق ،ص49.

[2]– السهروردي ، المصدر السابق ،ص– ص 59–63.

[3]– عبدالغني قاسم ،**المذاهب الصوفية ومدارسها** ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 2006 ،ص21.

[4]– **عبدالقادر الجيلاني** :هو ابن أبي صالح موسى ،عرف باسم "**الجيلاني**" ،ولد سنة 470هـ/1077م ، وتوفي في عام 561هـ/1165م، ينظر : عبد القادر الجيلاني، **السفينة القادرية**، تر: شهاب الدين العسقلاني، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان، 1423هـ/2002م،ص46 .

أهل السنة بتسمية الخواص منهم ممن يراعون الأنفاس باسم الصوفية، و قد اشتهروا بهذا الاسم حتى أنهم قالوا: أنه عرف قبل انقضاء القرن الثاني للهجرة.[1]

وبدأت ظاهرة التصوف هذه تتجلى بوضوح في العهد الأموي، الذي كان منعطفا مهماً في التاريخ الإسلامي ثم جاء العصر العباسي، فدرجت وترعرعت فيه ، فكانت من أكبر العوامل على ترك الحياة المادية، والتنكر لها تحت شعار الزهد في الدنيا و العمل من أجل الآخرة، وكان إبراهيم بن الأدهم المتوفي سنة161هـ هو الرائد الأول في تطبيق هذا المبدأ على نفسه فاعتزل الملك والحياة السلطوية، وتشبه به الآخرون متخذين منه القدوة الحسنة.[2]

من هذا المنطلق لم يظهر التصوف مذهبا ومشربا، و لم تتضح المصطلحات الخاصة به، وكتبه، وتعاليمه و ضوابطه ،أصوله وقواعده، و فلسفته، ورجاله وأصحابه إلا في القرن الثالث من الهجرة و ما بعده.

وكان من أوائل من كتب في التصوف نذكر **الحارث المحاسبي (243هـ/857م)**[3] من مؤلفاته في التصوف نذكر: "بدء من أناب الى الله" ،و "آداب النفوس"، و" رسالة التوهم" كذلك "**أبو سعيد الخراز**"، المتوفي سنة 277هـ/890م [4] كتب العديد من الكتب في الموضوع من أهمها "الطريق إلى الله". "**فأبي عبد الرحمن السلمي**"، المتوفي سنة 325هـ/936م، من بين مؤلفاته "آداب الصوفي"[5]. أيضا "**أبا نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي**"، المتوفى سنة 378هـ/ 988م، و له في الموضوع كتاب موسوم بـ"اللمع في التصوف"، بالإضافة إلى "**أبي بكر الكلاباذي**"، المتوفي سنة 380هـ/990م, وله كتاب بعنوان "التعرف على مذهب أهل التصوف".[6]

---

[1]– المصدر نفسه، ص8.

[2]– أحمد علي حسن ، المرجع السابق، ص- ص112- 113.

[3]– **الحارث المحاسبي**: أكبر ممثل لمدرسة بغداد ،وواضع علم أسس التصوف السني و قواعده ،وشروطه ،كما جمع بين العلم والشريعة و الحقيقة .ينظر: جلال شرف، المرجع السابق،ص191.

[4]– القشيري، المصدر السابق ،ص33.

[5]– المصدر نفسه،ص61.

[6]– أبوبكر محمد الكلاباذي ،**التعرف بمذهب أهل التصوف** ، تر: محمود أمين السوادي، ط2، مكتبة الكلبات الأزهرية، القاهرة، 1980،ص- ص ،29- 30.

أما "**أبو القاسم القشيري**" المتوفي سنة 465هـ/1072م فله في الموضوع الرسالة القشرية وتعتبر من بين أهم المؤلفات حول التصوف.[1]

أيضا "**أبو حامد الغزالي**" [2] المتوفي سنة 505هـ/1111م. من بين أهم مؤلفاته كتاب "إحياء علوم الدين"، و يعد هذا الأخير من بين أشهر كتب التصوف. كما له مؤلفات أخرى من بينها "الأربعين في أصول الدين". و" منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين"، وأيضا "تهافت الفلاسفة" ، و " مشكاة الأنوار"، و "المنفذ من الضلال".[3]

وشهدت الصوفية بعد جيل "**الجنيد**" انقسامها إلى طريقتين هما الخلوتية [4] و النقشبندية .

و استمر الحال كذلك حتى جاء الاقطاب الأربعة "**احمد الرفاعي**"، "**عبد القادر الجيلاني**" و"**أحمد البدوي**" و"**إبراهيم الدسوقي**"، هؤلاء شيدوا طرقهم الرئيسة الأربعة، وأضافوا إليها أورادهم وأدعيتهم . أما في العصر الحالي فتوجد العديد من الطرق المنتشرة عبر أنحاء العالم ،وكلها مستمدة من الطرق التي أسسها الأقطاب الأربع.[5]

وظهر مع الإمام "**الغزالي**" خاصة في مؤلفه "إحياء علوم الدين" محاولة لتأسيس العلوم الشرعية بصياغة تربوية، تلاه اعتماد الكثير من الفقهاء أبرزهم "**عبدا لقادر الجيلاني**" للصوفية كطريقة للتربية الإيمانية، ويبدو أن "**الجيلاني**" وتلامذته الذين انتشروا في كافة بقاع المشرق العربي حافظوا على الجذور الإسلامية للتصوف بالتركيز على تعليم القرآن والحديث مقتدين بشخصيات أمثال "**الحارث المحاسبي**" وهذا ما أكده "**ابن تيمية**" – بالرغم من تهجمه على رجال الصوفية – بمدحه

---

[1]– القشيري، المصدر السابق، ص– ص،1– 3.

[2]– **أبو حامد الغزالي:** هو محمد بن محمد بن أحمد الملقب بـــ"أبي حامد" و المعروف بـــ "حجة الإسلام" .ولد بطقوس الموجودة في خرسان عام450هـ/1058م ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان** ، ج4،,تح :إحسان عباسّ، دار الثقافة، بيروت ، 1971م ، ص– ص216– 218.

[3]– بن يوسف التلمساني، **الطريقة التيجانية و موقفها من الحكم المركزي بالجزائر** ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية: 1998/1997م،ص– ص75–77.

[4]– **الخلوتية:** بعد القادرية ظهرت مدرسة صوفية أخرى على يد محمد الخلوتي الفارسي (تـــ 1398م) تعتبر من أكبر المدارس انتشارا في الجزائر رغم أن ظهورها كان أواخر العهد العثماني . ينظر: le gouvernement général d'Algérie service des laissons nord africaines ,p3

[5]– القشيري ،المصدر السابق ،ص33

لبعض رجال التصوف أمثال "**الجيلاني**"، و "**أحمد الرفاعي**"، وأصحاب الطريقة القادرية والرفاعية اللتين انتشرتا في جميع إنحاء العالم. [1]

وقد يتساءل الكثيرون عن الأسباب التي جعلت من ظاهرة التصوف لا تظهر و تنتشر في صدر الإسلام ،ذلك أنه لم تكن هناك حاجة إليها في العصر الأول، لأن أهل هذه الحقبة التاريخية كانوا ذات تقوى و ورع، وأرباب مجاهدة و إقبال على العبادة بطبيعتهم، وبحكم قرب اتصالهم برسول الله صلى الله عليه و سلم، كانوا يتسابقون في الاقتداء به، فلم يكن ثمة ما يدعو إلى تلقينهم علما يرشدهم إلى أمرهم قائمون به فعلا، و إنما مثلهم في ذلك كله كمثل العربي القح، يعرف اللغة العربية بالتوارث كابرا عن كابر.

فالصحابة و التابعين – وإن لم يتسموا باسم المتصوفين– كانوا صوفيين فعلا و إن لم يكونوا كذلك اسما، و ماذا يراد بالتصوف أكثر من أن يعيش المرء لربه لا لنفسه، و يتحلى بالزهد وملازمة العبودية ،والإقبال على الله بالروح و القلب في جميع الأوقات، و سائر الكمالات التي وصل بها الصحابة و التابعون من حيث الرقي الروحي إلى أسمى الدرجات فهم لم يكتفوا بالإقرار في عقيدة الإيمان و القيام بفروض الإسلام بل قرنوا الإقرار بالتذوق و الوجدان و زادوا على الفروض الإتيان بكل ما استحبه الرسول صلى الله عليه و سلم [2]ويقيمون نوافل العبادات، والابتعاد عن المكروه فضلا عن كل ما هو حرام، حتى استنارت بصائرهم و تفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم، و فاضت الأسرار الربانية على جوانحهم [3]

وكذلك كان شأن التابعين وتابعي التابعين ،وأما التصوف الذي بدأ في مرحلته الأولى كسلوك فردي لم يلبث أن أصبح متمثلا في جماعات تربط بينها علاقات وطيدة تنظم الحياة بين مختلف الأطراف المكونة لها وفق خصائص تميزها عن بقية التجمعات البشرية الأخرى، فجاءت مراتب الناس على اختلاف درجة التعبد[4].

---

[1] – فليب حقي، **تاريخ العرب**، ج2 ،ط4، دار الكشاف للنشر والطباعة، د م، 1965 ، ص5.

[2]– عبدالقادر عيسى ،المرجع السابق ،ص– ص22– 23.

[3]– المرجع نفسه ،ص 23.

[4]– عبد القادر الجيلاني، المصدر السابق ، ص8.

وكان لشيوخ الطرق الصوفية طرق عديدة في التدريس و هي كـــالآتي :طريقـــة الحلقـــات الرواية،السماع، المناقشة، الإملاء ،الحفظ والاستظهار ،الفهم، الرحلة في طلب العلم ،القـــدوة ، القصص، ضرب الأمثال ، الاستشهاد بالقرآن الكريم و الأحاديث و الحكم و الشعر.[1]

المبحث الثالث: ظهور التصوف في الجزائر (المغرب الأوسط):

لقد عرفت المجتمعات الإسلامية خاصة بعد القرن الثاني هجري حركة دينية جديدة عرفت تحت اسم التصوف وكان ظهورها في البداية مقتصرا على دول المشرق ولكنها لم تبق حكرا عليهم ،بـــل انتشرت مع الفتوحات الإسلامية لتصل إلى دول شمال إفريقيا ،ولعل أبرز الدول التي تـــأثرت بهـــذه الحركة الدينية هي الجزائر خاصة قبيل العهد العثماني و خلاله بسبب بروز تأثيرها الواضـــح علـــى المجتمع الجزائري من كل الجوانب، خاصة وأن السلطة الحاكمة آنذاك- العثمانية - كانت على علم بمدى خضوع المجتمع الجزائري وخاصة القبائل القاطنة في الريف إلى المتصـــوفة والمشـــايخ فكـــانوا يستغلونها لصالحهم وذلك لتحقيق الأمن السياسي للبلاد وضمان عدم التمرد ضدهم ،وهنا ســـيتم التعرف على كيفية انتقال أو ظهور التصوف في الجزائر.

إن ظهور التصوف في المغرب العربي كان مصدره المشرق وترجع بـــوادره الأولى إلى القـــرون الوسطى وقد فتح الباب واسعا بين القرنين الثالث عشر و الخامس عشر لانتشار ظـــاهرة الأوليـــاء الصالحين في الإسلام السني خاصة أن الفقهاء للمذهب المالكي تميزوا بالتسامح والتغاضي على هـــذا الصعيد[2] وعند هذا التقاطع التاريخي أصبح التصوف فيما بعد ظاهرة اجتماعية من خلال الطرق والزوايا. [3]

إن حال التصوف في المشرق يختلف عما كان عليه بالمغرب العربي ،فالتصوف في المغرب العربي و خاصة في الجزائر لم يشهد نفس الصراع الذي عاشه المشرق ،إذ أن المغرب العربي عرف خـــلال القرن السابع و الثامن و التاسع للهجرة متصوفين متمسكين بالكتاب و الســـنة ومبتعـــدين عـــن التصوف الفلسفي الذي أسسه "**ابن مسرة الأفلسي**" (توفي 269هـــ/381م)وتزعمه "**أبي العريف**" (توفي 536هـــ) عصر المرابطين ، فتعايشت الحياة الروحية مع الحياة العقلية في تكامـــل، والعلـــوم

---

[1]-عبدالغني قاسم، المرجع السابق، ص- ص123- 124.

[2]- هذا الكلام يصلح للفقهاء المالكية المتأخرين، علما أن فقهاء المرابطين مثلا كانوا معادين للتصوف و الدليل على ذلك إحراق كتاب إحياء علوم الدين .

[3]- جورج الراسي ،**الإسلام الجزائري- من الأمير عبد القادر إلى أمراء الجماعات**- ، دار الجديد، بيروت، 1972م، ص 202

الشرعية مع العلوم الحقيقية في تواصل وعلوم الظاهر مع علوم الباطن في توافق ،و اشتغل علماء المغرب بعلوم الحديث و الأصول والعقل خاصة بعد سقوط الموحدين ، وقد يعود هذا إلى رسوخ الروح الدينية الإسلامية في أخلاقيات المجتمع الجزائري.[1]

من بين المتصوفين الذين برزوا قبل دخول الأتراك للجزائر نجد عبد الرحمن الثعالبي و محمد الهواري و غيرهم ومنهم من عاصروا بداية العهد العثماني و لكنهم تكونوا قبله مثل أحمد بن يوسف الملياني ومحمد أفغول وغيرهم ،كما انتشر التصوف و رجاله في الجزائر بقدوم العثمانيين بكثرة حيث أن الأتراك أنفسهم كانوا متأثرين بالتصوف ،و عند دخول العثمانيين للجزائر وجدنا بأن أقرب الناس إليهم هم رجال الدين فكانوا يتقربون منهم و يتبركون بهم وبذلك استمالوا رجال الدين لهم وذلك لمساعدتهم على التغلغل و الاستلاء على المدن الجزائرية المرغوب فيها و إخضاع سكانها للحكم العثماني .

وقد كان ذلك عن طريق إكثار الهدايا و العطايا لرجال الدين و إعفاء زواياهم و أضرحتهم من الضرائب و بناء المساجد والزوايا والوقف عليها ،و احترام الناس لعائلتهم ،ومن أمثلة ذلك علاقة أحمد بن يوسف الملياني بالعثمانيين والزيانيين ،فقد كان هؤلاء يخشون دعوة الملياني بعد أن اشتهر أمره والتف حوله الناس كقطب من أقطاب الطريقة الشاذلية فحاولوا الحد من نشاطه ووضعه تحت نفوذهم .

في هذه الأثناء اشتد الخلاف بين الزيانيين و الملياني، و كان العثمانيين يخططون للاستلاء على تلمسان، ويبحثون لهم عن حليف أو نصير، وليس هناك أفضل من الملياني و حزبه كما تذكر الرواية أن عروج قد زار الملياني و اتفق معه سرا على عدة أمور منها إعلان الملياني و أتباعه تأديبهم للعثمانيين بينما تعهد عروج بعدم التعرض للملياني و لنسله و لمن تعلق به ،وسواء كان هذا اللقاء شخصيا ،كما تذهب إحدى الروايات ،أو بواسطة كما أن تحالف العثمانيين مع حزب الملياني في تلك الظروف يعتبر أمرا مؤكدا تقريبا وقد أثمر هذا التحالف وغيره باحترام الناس لهذه الطرق الصوفية و مؤسسيها واتباعهم لها وبذلك كان انتشار التصوف ورجاله خلال العهد العثماني في الجزائر واتساعه واضحا وجليا لما تميز به خلال ذلك العهد.[2]

---

[1]– أحميده أعميراوي ، **رسالة الطريقة ا لقادرية في الجزائر** ، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر،دت،ص14

[2]– أبو القاسم سعدالله ،المرجع السابق،ص262.

- **انتشار التصوف بالجزائر :**

بدأ التصوف في الجزائر تصوفا نظريا ،ثم تحول ابتداءً من القرن العاشر الهجري ،واتجه إلى الناحية العملية ،وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية ،وقد وجد التصوف وطرقه لأول مرة في بلاد القبائل ببجاية و المناطق المحيطة بها ،وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن، بواسطة رجال التصوف الكبار الموجودين بها.[1]

وبذلك أخذ التصوف يدخل من شرق ومن غرب الجزائر ،وترجع عوامل و أسباب انتشار التصوف وطرقه بالجزائر إلى أسباب عدة ومنها ما هو فكري ،وما هو سياسي ،وما هو اجتماعي، ويمكن تلخيص هذه الأسباب والعوامل فيما يلي :

- وجود أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف وطرقه بكامل المغرب الإسلامي ،أثروا بسلوكهم وبعملهم وبمؤلفاتهم على المجتمع الجزائري وتوارثه أبا عن جد وولد لدينا رجال متصوفون بارزين في الجزائر وفي المغرب وولد احترام العامة والخاصة لهم فنجد من بينهم **أحمد بن يوسف الراشدي** بعين مليانة عام 937هـ/1520م،**ومحمد أفغول وعبد الرحمن الثعالبي** ، **ومحمد التواتي البيجائي وشعيب السنوسي** ،كما نجد شيخ التصوف في الجزائر بلا منازع أبي مدين شعيب الذي عاش ببجاية أيام الدولة الحمادية ،ثم انتقل إلى تلمسان حيث مات عام595هـ/1197م.

- سقوط الأندلس ،وبذلك هجرة الكثير من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية واحتكاكهم بالمتصوفين الجزائريين و نشر أفكارهم في الوسط الجزائري.[2]

- انتشار البذخ و الترف عند فئات معينة نتيجة الثراء الفاحش و تراجع القيم الدينية و الأخلاقية حيث أهمل الخاصة و العامة الكثير من مبادئ الدين ،وسلوكه القويم ،وقد حارب الصوفية هذا الانحراف وقاوموا بكل السبل و الطرق هذه الاختلالات مما أدى إلى انتشار مذهبهم[3]

---

[1]- مختار حبار، **التصوف والصوفية في الجزائر، الموقع الاليكتروني:** http//www-almahdy/net بتاريخ 2015/03/15 بتوقيت 16:30سا

[2]- مختار حبار، المرجع نفسه.

[3]- المرجع نفسه.

ومن هذا أخذ التصوف ينتشر في الجزائر بسرعة وأثر ذلك في تطور الجزائر وانفتاحها على العلوم الأخرى وبذلك تطورها في كل من المجال السياسي والاقتصادي ،والاجتماعي، وأصبحت لا تخلـــو كل مدينة أو قرية كبيرة أو صغيرة من ولي وزاوية تعرف بها.

الفصل الأول :

الطرق الصوفية في الجزائر في العهد العثماني

المبحث الأول : اهم الطرق الصوفية في الجزائر العثمانية .

المبحث الثاني : دور الطرق الصوفية في المجتمع الجزائري في العهد العثماني .

المبحث الثالث : تحالف الطرق الصوفية مع السلطة العثمانية .

اتسم العهد العثماني في الجزائر 953-1246هـ/1546- 1830م بانتشار ظاهرة التصوف، و سيطرتها على توجيه مسار الحياة الروحية والسياسية و الاجتماعية ،بوجه لم يسبق للبلاد أن عرفت مثيلا له ،رغم أن هذه الظاهرة لم تكن شيئا جديدا أو طارئا جلبه العثمانيون معهم ،بل كانت إمتداد للحركة التي ظهرت خلال حكم الموحدين.[1]

ولقد تعددت الطرق الصوفية في الجزائر مع دخول التصوف و تفاوتت هذه الطرق من حيث الأهمية والظهور، إذ هناك طريقة قديمة الظهور و أخرى حديثة، كذلك نجد طرق أصلية ظهرت في الجزائر وتفرعت حتى انتشرت خارجها ،وهناك ما مثل العكس ،وهي في حقيقة الوضع سوى فروع لأصول موجودة خارج الجزائر ،خاصة في بلاد المشرق ،كما نجد طرق منتشرة عبر كل أنحاء البلاد ذات الآلاف من الأتباع ، وأخرى لم تنل حظها من الشهرة والانتشار ،و بذلك كانت محدودة المكان والأتباع .

المبحث الأول: أهم الطرق الصوفية في الجزائر العثمانية

ومن خلال عرض هذه الجزئية من هذا الفصل سوف أحاول عرض نماذج لأهم الطرق في محاولة لتغطية من حيث المتأصلة منها والمتفرعة سواء كانت من المشرق أو من المغرب العربي، وبالتالي سوف أرسم الخطوط العريضة للتطور الزماني لهذه الطرق ،وكانت هذه الأخيرة على النحو الآتي:

1) الطريقة القادرية:

أ- التعريف بالطريقة: تعتبر من أقدم الطرق الصوفية على الإطلاق تأسيسا، وظهورا على مستوى العالم الاسلامي ،وتنتسب إلى مؤسسها عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى.[2]

ب- عبد القادر الجيلاني: اختلفت الروايات حول تسميته ،فهناك من ذكر أنه "عبد القادر بن صالح موسى جنكي دوست بن عبد الله بن يحي الزاهدي بن محمد بن داود ،بن محي الدين، محمد الجيلي، الجيلاني البغدادي"[3]، في حين ذهبت روايات تاريخية أخرى أنه أبا صالح عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحي الزاهي بن محمد بن داود بن موسى الجون بن عبد الله المحطي بن الحسن السبط ،بن عبد علي بن أبي طالب و فاطمة الزهراء رضوان الله عليهم ،فهو بذلك شريف حسني

[1]- حمدان خوجة ،**المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري ، ط 2، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1982،ص-ص110-111.

[2]- الجيلاني، المصدر السابق، ص5

[3]- المصدر نفسه ، ص5.

من جهة الأم.[1] و عرف باسم "الجيلاني" أو "الكلاني" أو "الجيلي"، وكلها نسبة إلى مكان ميلاده، وهي مدينة عراقية.[2]

ولد "**عبد القادر الجيلاني**" سنة 470هـ/1077م[3] ،انتقل إلى بغداد لما بلغ الثانية عشر من عمره[4]وكانت –بغداد- تعج بكبار الفقهاء و المحدثين[5]، حفظ القرآن على يد الشيخ "**حماد الدباس**"، وتعمق في دراسة أصول المذهب الحنبلي على يد أكبر الفقهاء الحنابلة أمثال "**أبي الوفاء بن عقيل**"، و"**أبي الخطاب محفوظ الكلوذاني**" ،و أخذ علوم الأدب و فنونه من "**أبي يحي التبريزي**"، في حين تلقى علوم الحديث عن "**أبي غالب البقلاني**"، و "**أبي بكر الظفر**" وغيرهم.[6]

قام بعدها بجمع العلوم خاصة الشرعية منها التي تساعده في وضع تعاليم طريقته، كما أخذ علم الطريقة عن شيخه "**حماد الدباس**" الذي سلك على يده في "الفتح الرباني والفيض الرحماني"، ولبس "لخرقة المباركة"، من "**أبي سعيد المبارك الحزم**" الذي توفي سنة 551هـ/1156م.[7]

أما عن وفاته فقد كتب "**ابن الجوزية**" يقول: "توفي ليلة السبت ثامن شهر ربيع الأخر سنة إحدى وستين وخمسمائة ودفن من وقته بمدرسته، و بلغ تسعين سنة".[8] من مؤلفاته "تحفة المتقين وسبيل العاقلين"، و"حزب الرجاء و الانتهاء"، "رسالة الغوشية"، و"الغنية في التصوف"، "فتوح الغيب"، و"الكبريت الأحمر في الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم-"[9] وغيرها من المؤلفات.

ج- تعاليم الطريقة القادرية: إن التصوف عند الجيلاني ليس أقوالا تقال و لكنها طريقة – فيها الجوع و قطع المؤلفات- و الخصال التي ينبغي أن يأخذها الصوفي لنفسه هي ذاتها خصال الأنبياء

---

[1]- بن بريكة، **موسوعة الطرق الصوفية-الطريقة القادرية-**، ج3 ، دار الحكمة، الجزائر، 2007م ، ص- ص 10-11

[2]- المرجع نفسه، ص11.

[3]- الجيلاني، المصدر السابق، ص 5.

[4]- بن بريكة، المرجع السابق، ن ص.

[5]-صلاح مؤيد العقبي ، **الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر، تاريخها و نشاطها** ، دار البوراق، بيروت – لبنان ، 2002م،ص143

[6]- بن بريكة، المرجع السابق، ص - ص11-12.

[7]- المرجع نفسه، ص13.

[8]- الجيلاني، المصدر السابق، ص- ص 45-46.

[9]- المصدر نفسه، ص 46.

عليهم السلام ،و"الصفاء من أدرات النفس و الهوى و الصدق مع الحق و حسن الخلق مع الخالق".[1]
الخالق".[1]

فكان بذلك رجال الطريقة القادرية يدعون إلى العلم والأخلاق و الصبر والإتقان، أما الواجبات فتمثلت في ذكر الله، الصدق، و الابتعاد عن شر الدنيا ،وأن تحب الناس و تخاف الله، كما يمنع على مريد الطريقة الجمع بينها و بين طريقة أخرى.[2]

أما الأذكار عند القادرية فتمثلت في ذكر الله وحده و الإكثار من الصلوات ،وهذا ما فعله الشيخ الجيلاني نفسه.[3]

وقد ذكر "محمد السنوسي"[4] أن مريدي الطريقة القادرية يقرؤون أثناء "الحضرة" الفاتحة بعد الصلوات الخمس ،و يصلون على النبي صلى الله عليه و سلم ،كما يتلون 121 سورة من القرآن الكريم ،في شكل جماعي، ويذكرون عبارة "سبحان الله و الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" 121مرة ،بالإضافة إلى ذكر الأدعية.[5]

د- تأسيس الطريقة القادرية في الجزائر: لم تقتصر تعاليم الطريقة القادرية على بلاد المشرق عامة و بغداد خاصة ،بل انتشرت في عدة جهات من العالم الاسلامي ،وبذلك لعبت دورا كبيرا وفعالا في نشر تعاليم الإسلام عبر مناطق كثيرة.

وأما عن دخول الطريقة إلى الجزائر ،فقد تم ذلك على يد "**أبومدين شعيب ابن حسين**"[6] الذي التقى بالشيخ "**عبد القادر الجيلاني**" في عرفات ،و تتلمذ على يده .

ثم عاد إلى الجزائر استقر ببجاية أين تفرغ للتعليم و الوعظ و الإرشاد، كما قام بنشر طريقته، وقد تتلمذ على يده مجموعة كبيرة من بينهم "**محمد بن حماد الصنهاجي القلعي**"، و"**عبد الحق الاشبيلي**"

---

[1]- عبد المنعم الحنفي ،**الموسوعة الصوفية(اعلام التصوف المفكرون والطرق الصوفية)** ، دار الرشاد العربية للطباعة والنشر، مصر،1992، ص114

[2]- ابو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 4، ص- ص 43-44.

[3]- المرجع نفسه، ص 43.

[4]- **الشيخ السنوسي** :هو محمد بن علي السنوسي ولد سنة 1202هـ/1787م بضواحي الشلف ، وهو مؤسس الحركة السنوسية. ينظر : محمد الصلابي، **الثمار الزكية للحركة السنوسية**، ص- ص 205-206.

[5]- أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج**4 ، ص43.

[6]- **أبو مدين شعيب:** ولد بإشبيلية سنة 500هـ/1106م، عاش بالأندلس ثم انتقل إلى فاس ثم تلمسان، توفي سنة 549هـ/1154م بتلمسان ودفن بها.ينظر: ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، الجزائر ، 1986م ، ص 54.

والشيخ أبو علي المسيلي الملقب بـــ"**أبي حامد الصغير**"، و "**عبد السلام بن مشيش**".[1]أما عن تعاليم الطريقة القادرية فقد ورثها لعدد من تلاميذه، من أبرزهم " **محي الدين بن عربي**" دفـــين دمشـــق، و "**عبد السلام بن مشيش**".[2]

وكان قدوم "**إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني**" من المشرق نحو بلاد المغرب الأقصى من العوامـــل التي ساعدت على نشر الطريقة القادرية في شرق الجزائر و غربها ،فكانـــت البدايـــة مـــن منطقـــة الأوراس- مكان استقراره- أين أسس الزاوية القادرية بالمنعة، حيث وصل عدد الزوايا التي تخلد اسم "**عبد القادر الجيلاني**" حينها قرابة مائتي (200) زاوية في الشرق الجزائري[3].

أما في الغرب الجزائري بالقرب من مدينة معسكر[4] توجد زاوية القيطنة الـــتي أسســـها الشـــيخ "**مصطفى بن مختارالغريسي**" جد "**الأمير عبد القادر**" حوالي سنة 1200هـــ/1785م، الذي أخذ مبادئ الطريقة القادرية على الشيخ "**عبد القادر بن عبد الله المشرفي**"، ثم جدد أخذ الطريقة و لبس "الخرقة" في بغداد على يد مقدم الشيخ "**عبد القادر الجيلاني**"[5]. وعند عودته إلى الجزائر أسس زاويته زاويته بواد الحمام عام1206هـــ/1792م ،وبدأ بالتدريس و إعطاء ورد الطريقة .ومن مـــوظفي زاويته نذكر "**عبد القادر المشرفي**"[6] وعن أبرز تلامذته ومريديه من جانب السلطة العثمانية نـــذكر باي وهران "**محمد بن عثمان الكبير**".[7]

---

[1]- يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب**، ج1 ، دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص 440.

[2]- المرجع نفسه، ص- ص 440-441.

[3]- العقبي، المرجع السابق، ص146.

[4]- **معسكر**: كانت مركز السلطة بايلك الغرب الذي تأسس سنة 947هـــ/1576م. ينظر: إبراهيم حسن شحاتة ، **أطوار العلاقات المغربية العثمانية، قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون(1510/1947م)**، المنشاة المعارف ، الإسكندرية ، 1981م، ص 240.

[5]- لقد تبرع من ماله الخاص لتوسيع ضريح عبد القادر. ينظر: يحي بوعزيز، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب**،ج1 **العرب**،ج1 ص 442.

[6]- ابو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1**، ص521.

[7]- **محمد بن عثمان الكبير** :هو محمد بن عثمان الكردي ،كان خليفة على مليانة ،ثم ارتقى فأصبح بايا على بايلك التيطري. عني هذا الباي بالثقافة و المثقفين، لذلك بنى المدارس للطلبة، ووفر لهم المؤن و هيا لهم كافة الوسائل. ينظر: أحمد بن هطال التلمساني، **رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تح ،تق: محمد بن عبد الكريم ، النشر عالم الكتاب، ص- ص 15-24

وقد تولى أمر زاويته الشيخ الغريسي الذي توفي سنه 1212-1213هـ/1797-1798م[1]،ولده "**محي الدين**"، ذو العلم المشهود، كما تولى أمرها من بعده ولده "**عبد القادر**" بطل المقاومة الجزائرية الذي أصبح يلقن أوراد الطريقة للمريدين و ينشر العلم، وبعد وفاته تولى ولده "**محمد السعيد**" أمر الزاوية.[2]

2) الطريقة الرحمانية:

أ-التعريف بالطريقة: تعد هذه الطريقة من الطرق المتأصلة في الجزائر ،تنسب إلى العالم الجزائري "محمد بن عبد الرحمن القشطولي الجرجري"[3]، وبعدما وفق في الدعوة إلى الله تعالى بعد رحلة طويلة، عاد إلى الجزائر باسم الطريقة الرحمانية.[4]

وقد كان له في الجزائر أثناء إقامته بالمشرق تلاميذ يتراسلون معه، ويعلمهم مبادئ الطريقة الخلوتية ومن بين الذين منحهم إجازات نذكر "**بلقاسم بن محمد المعاتقي**" الذي رفعه إلى رتبة مقدم الطريقة، والشيخ "**العابد بن الأعلى الشرسالي**".[5]

ولما رأت السلطة العثمانية أن الناس أقبلوا عليه والتفوا حوله ،خشيت أمره فدبرت له مع مجموعة من العلماء الموالين لها مؤامرة تعمل على إصدار فتوى فقهية تبطل طريقته، ولكن من خلال بعض المناظرات التي تمت بين الشيخ و مجموعة من العلماء تقرر من خلالها تبرئته .فانتشرت بذلك الطريقة الرحمانية في كل بلاد القبائل الكبرى والصغرى ،كما بلغت أوسع انتشارها في كامل أنحاء دول المغرب العربي ، وسارت على أكمل حال ،حتى توفي الشيخ محمد بن عبد الرحمن سنة 1208هـ/1793م في بلدة آيت اسماعيل و اشتهر بعد موته بـ"بوقبرين".[6]

---

[1]- يحي بوعزيز ، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب، ج1**، ص 442.

[2]- ابو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج4**، ص514.

[3]- **محمد بن عبد الرحمن القشطولي الجرجري:** هناك من يدعوه "محمد بن عبد الرحمن القشطولي الإدريسي الحسن الأزهري". ولد في قرية بعلاوة بجبال جرجرة من قبيلة آيت اسماعيل سنة **1127**هـ/**1715**م. ينظر:

Octave dépôt , Xavier coppolani , les confréries religieuses musulmanes ,Adolphe ,Jourdan, libraire –edition , Alger , 1897, p - p 382 -383

[4]- سلطان الأسود، الطريقة الجامعة الخلوتية الرحمانية، الموقع الإليكتروني:

http: /www.delraleman.com./ بتاريخ **2015/03/16**، بتوقيت **10.25**سا

[5]- أبو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1**،ص 507.

[6]-سبب هذا اللقب أن العثمانيون خافوا من تكاثر المؤيدين حول ضريحه فنقلوا جثمانه إلى مدينة الجزائر و أودعوه قبرا هناك ليكون الزائر له تحت سمعهم و أنظارهم. ينظر: Octave dépôt , Xavier coppolani , op cit , p , 38

أطلق على الطريقة اسم الرحمانية نسبة إلى مؤسسها "**محمد بن عبد الرحمن**" ،كما عرفت الطريقة "بالجامعة" لجمعها لمختلف تعاليم الطرق المعروفة من أسانيد و آداب وأوراد معبرة بذلك عن أوراد الطرق كلها .[1]

أ–منهاجها: من أهم المناهج التي اعتمدتها الطريقة الرحمانية في تعليم مريديها التطبيق العلمي للشرع قولا و عملا وأخلاقا ،وذلك بإصلاح "ظاهر السالك و باطنه" بصحبة الشيخ المربي ،الذي يأخذ بيده لتطبيق أحكام الشرع عمليا ،فيثني عليه إذا أحسن ينبهه إذا زل، ويتفقده إذا غاب، يذكره إذا نسي ويزكي قلبه إذا غفل ،و بذلك يكتسب المؤيد الصفات الحميدة للتقرب إلى الله ويداوي آفات نفسه.[2]

و لها– الطريقة القادرية الجامعة – قواعد سبعة هي: الحب ،الامتثال ،الفكر ،الذكر، الصمت العزلة(الخلوة) ،والصوم. وأصول هذه القواعد مستنبطة من كتاب الله و سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم– وسيرة آله وصحبه والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.[3]

كما كان الرحمانيين يرددون في حلقات الذكر "اسم الله" بالتدرج إلى أن يصلوا إلى "حالة الحال"[4] ويتمثل اعطاء الورد عندهم بالتعوذ من الشيطان الرجيم ،والاستغفار، والتشهد ،وقراءة الفاتحة، وبعض الأدعية ،وأيضا كان يطلب من المؤيد أن يذكر الله كثيرا آناء الليل وأطراف النهار ،ويكرر الشهادة من عصر يوم الجمعة إلى يوم الخميس حتى وإن كان على غير طهارة.[5]

لعبت الطريقة الرحمانية دورا هاما في نشر الثقافة الإسلامية ،وهو ما أدى إلى مساهمتها في تثبيت مقومات الشخصية الإسلامية طيلة عقود من الزمن ،بالإضافة إلى ذلك قامت بإنشاء زوايا تابعة لها تقوم على عملية التعليم ،وإطعام المساكين وعابري السبيل ،ولا ننسى دورها الاجتماعي المتمثل في فك النزاعات.[6]

---

[1]–سلطان الأسود، المرجع السابق.

[2]– المرجع نفسه.

[3]– نفسه.

[4]– **حال الحال**: وهي درجة من الانجذاب يمارسها المتحلقون بصوت جماعي بقيادة الشيخ أو المقدم. ينظر: أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج** 4، ص 508.

[5]– المرجع نفسه، ص 508.

[6]– العقبي ،المرجع السابق، ص158.

وانتشرت الطريقة الرحمانية انتشاراً واسعاً في وسط و شرق و جنوب الجزائر ،و أيضا في منطقة الجريد بتونس. ويعود الفضل في انتشارها لكثرة أتباعها الذين كانوا معظمهم من فئة العمال و الفلاحين والتجار الصغار.[1] وبهذا انتشرت الزوايا الرحمانية بانتشار الطريقة و عمت مختلف المناطق الجزائرية ومن أهمها في العهد العثماني نذكر:

الزاوية الأم بجبال جرجرة وكان من شيوخها "**أحمد بن الطيب الرحموني**"، زاوية الحامة في مدينة الجزائر التي يوجد بها ضريح "**الشيخ محمد بن عبد الرحمن**" ،أيضا زاوية الشيخ المجاهد "**الحداد**" ببلدة صدوق، ثم الزاوية العثمانية بطولقة التي لاتزال مركز إشعاع علمي إلى يومنا هذا، زاوية الشيخ "**عبد الحفيظ الحنفي**" في خنقة سيدي ناجي[2]،بنواحي بسكرة.[3]

3) **الطريقة التيجانية :**

أ–التعريف بالطريقة: تعتبر الطريقة التيجانية من الطرق المتأخرة ،والتي أخذت في الانتشار عبر أرجاء البلاد الإفريقية عن طريق القوافل التجارية ،فكثر أتباعها وزواياها حيث احتلت مكانة مرموقة في الوسط التواتي و الأزوادي. [4]

وهي تنسب إلى صاحبها "**أحمد بن محمد التيجاني** " (1150-1230هـ/1737-1815م)[5] الذي قام برحلة طويلة لطلب العلم و الزهد، استقر به المطاف في منطقة توات[1]و بالضبط في مكان

---

[1]– العقبي ،المرجع السابق، ص58.

[2]– **بسكرة:** كانت تشكل في العهد العثماني المنطقة الجنوبية من بايلك الشرق، وضمت في أحوازها إحدى عشرة قبيلة بدوية أهمها الزمول، والحراكتة، وأولاد سلطان، وأولاد سحنون. ينظر:

Mouloud gàid **; l'Algérie sous les turques** ; maison tunisienne de l'Édition ;société nationale d'Édition et de diffusion , Alger , 1974 , p,127.

[3]– العقبي، المرجع السابق، ص160.

[4]– يحي بوعزيز ، **الوجيز في تاريخ الجزائر(الجزائر القديمة والحديثة)** ،ج 1 ،ديوان المطبوعات الجامعية، ،2007م،ص194.

[5]– **أحمد بن محمد التيجاني:** هو أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني أبو العباس ، ولد سنة 1150هـ/1737م بقرية عين ماضي بنواحي الأغواط ، حفظ القرآن في سن مبكرة و نبغ في علوم التفسير و الفقه و الحديث ،بعدها مال إلى دراسة التصوف غادر عين ماضي باتجاه مدينة فاس حيث لازم شيوخها دارسا ومدرسا بعدها عاد إلى عين ماضي ثم انتقل إلى تلمسان ، بعدها قرر السفر إلى فاس أين أدركته الوفاة سنة 1230هـ/1805م ، ودفن بزاويته. من بين مؤلفاته "جوهر المعاني" و"الإفادة الأحمدية" و"بغية المستفيد". ينظر: خالد وصيف ، **نشأة الطريقة التيجانية وتطورها، الملتقى الدولي للإخوان التيجانيين أيام** 23،24،25، نوفمبر 2006م، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ،الأغواط– الجزائر ، ص4.

يدعى "أبو سمغون" ،فوقع له الفتح الكبير، عندما بدأ بتلقين العامة بعد أن كان فارا من ملاقاتهم وبدأ إقبال الطلبة و الموردين عليه من كل النواحي، مما سبب لدى السلطة العثمانية تخوفا فبدأت تضيق عليه، فهاجر إلى فاس سنة1213هـ/1814م،أين رحب به السلطان "**سليمان**" وخصص له راتبا ،فأسس زاويته الشهيرة بـ"**حومة البليدة** "بفاس، ومن هذه الأخيرة استمر بالدعوة إلى الله و التوجيه والإرشاد إلى أن توفي بفاس سنة 1230هـ/1815م ودفن بزاويته.[2]

ب- مناهج الطريقة: تعتبر مفاهيم شيخ الطريقة "**أحمد التيجاني**" روحية صوفية تربوية اجتماعية وإتباع السلف الصالح ،والانفراد بها وعدم جمعها مع طريقة أخرى ، كما أنها أنكرت زيارة القبور و الأماكن المقدسة ،إلى جانب المداومة على قراءة الأوراد إلى الممات ،إلى جانب بلوغ التوبة النصوحة لقوله تعالى "**يا أيُّها الّذِين آمنُوا تُوبُوا إِلى الله توْبة نصُوحا عسى ربُّكُمْ أنْ يُكفِّر عنْكُمْ سيِّئاتِكُمْ ويُدْخِلكُمْ جنّاتٍ تجْرِي مِنْ تحْتِها الْأنْهارُ يوْم لا يُخْزِي الله النّبِيّ والّذِين آمنُوا معهُ نُورُهُمْ يسْعى بيْن أيْدِيهِمْ وبِأيْمانِهِمْ يقولون ربّنا أتْمم لنا نُورنا واغْفِرْ لنا إِنّك على كُلِّ شيْءٍ قدِيرٌ**".[3]

فذكرها لا على المريد الخلوة ،بل يمكنه تأديتها في أي وقت ،كما نجدها تبرمج أورادها اللازمة خارج أوقات الأعمال اليومية فهي بذلك لا تدعو إلى العزلة و الفقر ،بل تنادي بالكسب و العيش الرغيد، وبالإضافة إلى هذا ، فالطريقة التيجانية تطرح نفسها بديلا عن الطرق الأخرى وتعد اتباعها بالسعادة في الدنيا و الأخرة.[4]

وانتشرت الطريقة التيجانية في منطقة التل و الجنوب الجزائري، فأصبحت بذلك قوة ينشد تحالفها الراغبون في ذلك خاصة القوافل التجارية التي كانت تتاجر في فاس و تلمسان.[5] و توات والهقار

---

[1]- **توات**: يقع اقليم توات في الجنوب الغربي للجزائر، واسم توات إذا يطلق يراد به العموم، إذ يدخل في نظافة الأقاليم الثلاث وهي تيكورارين، وتدلكت، ،وتوات ينظر: بهية بن عبد المؤمن ، **الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين**، رسالة ماجستير، وهران كلية الحضارة الإسلامية، 2006م، ص- ص 3- 4.

[2]- خالد إبراهيم واصيف ،المرجع السابق ، ص 4.

[3]- سورة التحريم، الآية رقم 8.

[4]- محمد بن يوسف بن تلمساني ، **الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر رسالة ماجستير**، معهد التاريخ الجزائر 1998م، ص -ص58-92.

[5]- **تلمسان**: مدينة في سطح جبل ،كانت قاعدة المغرب الأوسط .لها أسواق و مساجد ومدارس على النمط الإفريقي ،بلغت درجة عالية من الازدهار خاصة في عهد الزيانيين .ينظر: أبو عبيد البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب** ، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، دت، ص 76

فأصبحت عين ماضي و تماسين مركزين ثريين بالمال بفضل التجارة و عمارة الأسواق، وكانت الزاوية هنا وهناك هي المحرك لهذه الشبكة من القوافل.[1]

وقد مر هذا الانتشار بمرحلتين أساسيتين هما :

– **المرحلة الأولى:** تبدأ بظهور الطريقة و انتشارها في عهد مؤسسها وخلفائه المباشرين و المقصود بذلك الخليفة الحاج "**علي التماسيني**"[2]، و"**محمد الصغير التيجاني**" خلال الفترة الممتدة ما بين 1782-1853م، وتعتبر هذه المرحلة من أخصب مراحل التطور الزمني للطريقة ،فقد قام مؤسسها و خلفائه المباشرين بنشر الطريقة و الدعوة لها و قضوا في ذلك مدة أربعة وثلاثين عاما، منها سبعة عشر سنة في الجزائر، والنصف المتبقي قضاه صاحب الطريقة "**أحمد التيجاني**" في فاس بالمغرب الأقصى.

– **المرحلة الثانية:** [3]فتمتد زمنيا ما بين 1853-1897م[4].

4) الطريقة الشاذلية:

أ–التعريف بالطريقة: من الطرق الصوفية التي برزت في الجزائر خلال العهد العثماني ،تميزت بتعدد فروعها على مستوى المغرب العربي بصفة عامة و الجزائر على وجه الخصوص. وانتشرت بشكل أساسي في كل من مصر و تونس و الجزائر ،وتعود أصولها إلى "المشيشية"[5]المنبثقة عن

---

[1]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص– ص 194-195.

[2]– **علي التماسيني:** هو الشريف الحسيني أبو الحسن الحاج علي التماسيني، ولد بتماسين بولاية ورقلة سنة 1180هـ/1766م، امتاز منذ طفولته بالتواضع. اعتمد في معاشه على فلاحة النخيل، والتقى بشيخه بعين ماضي ،خدمه بكل إخلاص وتفان، وعندما توفي الشيخ قضى مدة خلافته داعيا الى الله، كما نفذ وصية شيخه بأخذ ولديه إلى الصحراء. توفي سنة 1260هـ/1844م. ينظر: خالد إبراهيم وصيف ، المرجع السابق، ص 5

[3]– أما المرحلة الثانية لم نتطرق إليها لأنها خارج الإطار الزماني للموضوع. وهي فترة أبناء الحاج علي و أبناء الشيخ التيجاني، التي أصبح فيها نفوذ الطريقة التيجانية يقتصر على الصحراء و الجنوب التونسي ،بينما في الجهات الباقية فتميز بالفتور ،وذلك نظرا للسياسة الفرنسية التي اتخذتها تجاه الزوايا و شيوخها و توسع الاستعمار الفرنسي في الجزائر، هذا إضافة إلى المشاكل والخلافات الداخلية للطريقة التيجانية خاصة بين أبناء الحاج علي و أحفاد الشيخ التيجاني .ينظر: محمد بن تلمساني ،المرجع السابق ،ص 94.

[4]–سعيدة زيزاح ، **ظاهرة الطرق الصوفية بالجزائر الطريقة التيجانية نموذجا**، ج2، منشورات جامعة أدرار ،ع 1، خاص بالملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الإسلام و التحديات المعاصرة، جامعة العقيد أحمد دراية ، أدرار، الجزائر ،2009/2008م، ص 384.

[5]– **المشيشية:** هي طريقة تنسب إلى عبد السلام المشيشي المتوفي سنة 628هـ/1230م.من بين تلامذة أبي مدين شعيب، التي ظهرت في المغرب الأقصى أيام الدولة الموحدية. ينظر:أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج4، ،ص 515.

"المدنية"، التي تعتبر فرع من فروع القادرية الجنيدية ،فـ"**أبي مدين شعيب**" هو مؤسس مدرسة التصوف نقلا عن "**عبد القادر الجيلاني**" عن "**أبي القاسم الجنيد**".[1]

وصاحب الطريقة هو الشيخ "**أبو الحسن علي بن عبد الله بن الجبار الشاذلي**"[2]، الذي كان يتحلى بالثياب الحسنة ،ويعرض عن لبس زي الصوفية ،كما كان يركب الخيل.

ويتضح أن "**الشاذلي**" لم يكن من المتصوفين الزهاد المتقشفين الذين عرفوا بالعزوف عن متطلبات الحياة بل كان من المحبين لتجديد الأناقة ،و ترفيه نفسه ،بدليل ركوبه الخيل و الاحتفال بالمواسم، وقد تخرج على يده شيوخ وعلماء من أبرزهم "**أبا العباس المرسي**" الذي قال عنه "**الشاذلي**" عند وفاته "أنه الخليفة من بعدي و سيكون له بينكم مقام عظيم و هو باب من أبواب الله سبحانه وتعالى".[3]

ب- مبدؤها و أفكارها: تتصف الشاذلية بنهج معين يجعلها تختلف في أسلوبها عن غيرها من الطرق الصوفية ،و يمكن إبراز هذه النقاط في ما يلي:

تقوم الشاذلية على الرحلة الفكرية و التأمل المستمر في وحدانية الله، وعلى الهيام في الأرض بحثا عن الطهارة و التسامي، وإهمال الذات وقمعها في سبيل الله و على بالقيام بالصلوات و الواجبات الشرعية في كل الظروف لكي يعيش الميد في وحدة دائمة مع الله، كما أنها لا تؤمن بالخلوة وبالممارسات ،بل تهتم بالعلم الروحاني، ومذهبهم فب ذلك هو المساواة، كما عارضوا التطور الاجتماعي برفضهم لقبول الوظائف الإدارية.[4]

---

[1]- جلال شرف ، المرجع السابق، ص - ص 294- 295.

[2]- **أ بو الحسن علي بن عبد الله بن الجبار الشاذلي:** هو الشيخ بن الجبار الشاذلي المولود سنة 593هـ/1196م ببلدة غمارة بالقرب من مدينة سبة بالمغرب الأقصى ،و"الشاذلي " هو اسم الشهرة نسبة إلى شاذلة احدى قرى تونس التي هاجر إليها .ينظر: سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، ص 66.تلقى الشاذلي علومه عن الشيخ عبد السلام بن مشيش، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره انتقل الى قرية شاذلة، واستقر في جبل جلاس ،أين أخذ ينشر التصوف هناك و التف حوله الأتباع، لكنه لقي إنكارا و معارضة من طرف حاكم تونس و كبار قضاتها، فانتقل إلى تونس لكن سبقه خصومه إلى هناك، فحرضوا أهلها عليه، مما دفعه إلى الانتقال إلى القاهرة فعاش فيها، فالتفت حوله العامة والخاصة ،و أيده خصومه، و بهذا كثر أتباعه، توفي أثناء إحدى حجاته سنة656هـ/1258م. ومن أهم مؤلفاته: «الحزب المشهور"، و"حزب الشاذلي"، "رسالة الأمين في آداب التصوف"، و"السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل". ينظر: الحنفي، المرجع السابق، ص 154.

[3]- محمد مصطفى عبد القادر، **الطريقة الشاذلية**، الموقع الاليكتروني :

. htt://www. alsoufia ;com/ بتاريخ 2015/02/06م، بتوقيت 10.30سا

[4]- أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج4**، ص 68.

ويقر أتباع الطريقة الشاذلية بأن أبا الحسن الشاذلي هو من نسل الإمام "علي" رضي الله عنه.[1]

من مبادئهم الغلو في شخص "**الشاذلي**" و أتباعه المقربين، حتى أوصلوا بعضهم إلى "مرتبة الربوبية".[2]

ومن بين كرماتهم "أن الذين يتبعون هذه الطريقة لا يدخلون النار"[3]، كما زعموا أنهم أعطوا ثلاثا لم تحصل لمن قبلهم ولا من بعده[4]

- أنهم مختارون في اللوح المحفوظ.
- أن المجذوب منهم يرجع الى الصحو.
- أن القطب منهم الى يوم القيامة.

ونظرا لغلو هذه الطريقة كثيرا في ما ذهب إليه من معتقدات فقد أبطلت نفسها بنفسها و هذا لمخالفتها لنصوص الشريعة الإسلامية في كتاب الله و سنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– .

ج– كيفية الانتساب إلى الطريقة و أذكارها: إن الانتساب للطريقة الشاذلية لا يتم إلا بالأخذ بمجموعة من الشروط الأساسية، والتقيد بها وهي كالتالي:

تقوى الله في السر و العلانية ،إتباع السنة في الأقوال و الأفعال، الإعراض عن الخلق في الإقبال و الإدبار، و الرضا بالقليل عن الكثير، والرجوع إلى الله تعالى في السراء و الضراء.[5] ثم الأخذ بمجموعة أقسام هي: أخذ المصافحة ،التلقين و الذكر، ولبس الخرقة الخاصة بهم ،تلقي الرواية أي قراءة كتبهم من غير حل لمعاينتها، أخذ دراية أي حل كتبهم لإدراك معانيها من غير العمل بها .[6]

ويلتزم أتباع الشاذلية بطريقة معينة للذكر و هي: الاستغفار (أستغفر الله) مئة مرة، و الصلاة على الرسول – صلى الله عليه و سلم– مئة مرة (اللّهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمي)، و الذكر كل صباح و مساء، بالإضافة إلى حضور "الحضرة" مرة في الأسبوع على الأقل ، وزيارة المقدم

---

[1]– المرجع نفسه، ص 68.

2 – octave depont Xavier coppolani ;op cit p 444

[3]– العقبي ،المرجع السابق، ص153.

[4]– محمد العربي ، **فرق و مذاهب– الطريقة الشاذلية**–، مجلة الراصد، ع 42، ذي الحجة 1427هـ، الموقع الإليكتروني : htt://www. alrased ;net/ بتاريخ 2015/03/25م، بتوقيت 17.00سا.

[5]– محمد العربي ، المرجع السابق.

6 – octave depont Xavier coppolani ,op cit, p 447

و الحديث إليه مرة في الشهرة على الأقل، ثم التوبة الدائمة، وطلب الغفران من الله و الرجوع إليه بكرة و عشية.[1]

وبمقارنة معتقداتهم مع أذكارهم نجد أن هناك تناقض كبير بينهما.

د- **ظهورها في الجزائر**: تعود الجذور الأولى لظهور الشاذلية في الجزائر إلى عهد الموحدين، عن طريق أبي مدين شعيب.[2] فمنذ أيام الموحدين عرفت الطرق الصوفية بصفة عامة و الشاذلية على وجه الخصوص انتشارا واسعا، فظهرت الشاذلية في كل ربوع البلاد و أخذت تتفرع بداية من سنة658هـ/1258م[3]،فتفرعت منها الجازولية، الزروقية، اليوسفية، العيساوية، البكائية، الأحمدية (الكرزازية)، الشيخية، الناصرية ،الطيبية ، الزيانية ، الحنصالية، الحبيبية و المدنية بالإضافة إلى العروسية والبكرية ، وينسب كل فرع إلى مؤسسه.[4]

ورغم تفرع الشاذلية في الجزائر بكل فروعها ، إلا أنها لم تبرز بشكل كبير في العهد العثماني، فقد احتفظت بهذا الظهور لفترة الاحتلال الفرنسي حيث برزت بشكل قوي من خلال المعارضة و توجهها السياسي ضد الاحتلال الفرنسي.

5) الطريقة الدرقاوية:

أ- **التعريف بالطريقة**: هي طريقة دينية صوفية سنية تفرعت عن الطريقة الشاذلية، ظهرت في المغرب الأقصى[5] مؤسسها هو الشيخ محمد العربي الدرقاوي بن أحمد بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف أبو درقة الملقب "**أبو الدرقاوي**"[6] .الشريف الإدريسي ،المولود في مراكش سنة 1145هـ/1733م ،و كان ينتمي إلى قبيلة زروال شمال مدينة فاس، و الذي تعلم التصوف على يد الشيخ علي بن عبد الرحمن الجمال الإدريسي الفاسي شيخ الطريقة الشاذلية[7].

---

[1]- أ بو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص: 69

[2]- المرجع نفسه، ص70

[3]- يحي بوعزيز ، المرجع السابق، ص216

[4] -octave depont Xavier coppolani ,op cit, p -p 445 - 446

[5]- يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين**، ج1، ط1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص59.

[6]- أ بو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج4**، ص 112.

[7]- RINN, LOUIS, op, cit,p-p 75-76.

وينسب اسم الدرقاوة إلى قبيلة الدرقة[1] التي ينحدر منها الجد الأول "**أبو عبد الله محمد بن يوسف أبو درقة**" [2] .وقد أطلق اسم درقاوة على أتباع مولاي العربي الدرقاوي.

انتشرت الطريقة الدرقاوية شمال المغرب الأقصى وغرب الجزائر، بلغ عدد أتباعها سنة 1796م بالجزائر حوالي 9567 منخرط موزعين على عشر زوايا، كما بلغ عدد أتباعها سنة 1882م 15000 منخرط موزعين على اثنين و ثلاثين زاوية يشرف عليها 268 مقدما.[3]

ومن أشهر الطرق المنحدرة منها نذكر: الطريقة العلوية للشيخ "**أحمد بن مصطفى**" المتوفي بمستغانم سنة 1934م، والطريقة الهبرية للشيخ" **محمد الهبري**" المتوفي بمغنية أوائل القرن العشرين ميلادي إلى جانب طرق فرعية أخرى كالكتانية بالمغرب الأقصى[4]

وتعتبر الزوايا الدرقاوية المنتشرة في المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والسينغال ،فروعا للزاوية الأم بـــ "بوبريج"[5]

ب–مناهج الطريقة: اتخذ شيوخ الطرق الصوفية مجموعة أذكار وأوراد ،أوصوا مريدهم بالإلتزام بها ،ومنها ما وضعه شيوخ الطريقة الشاذلية ،فلقد حث الله تعالى المؤمنين على الإكثار من الذكر فقال :" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا** "[6] لأن الذكر طريق لاطمئنان القلوب وراحة النفوس من كل هم و ضيق، وقال أيضا :" **الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ**

---

[1]– **درقة(ترس من الجلود)**:جزء من درع المقاتل ،يحمل في الذراع اليسرى .توقف استعماله عقب اكتشاف البارود، كان قدماء اليونان و الرومان يستعملون درقات مستديرة، واستخدمها قدماء المصريين أيضا فضلا عن العرب و البيزنطيين و النورميديين. و لها أسماء شتى عند العرب كالجحفة و المجن. واهتموا بصنعها و نقشوا عليها الآيات و الحكم و الأشعار ،ينظر: أحمد شفيق غربال ،الموسوعة العربية الميسرة، مج2، ط2، دار الجيل، بيروت، القاهرة، تونس، 2001م، ص 1088.

[2]– **محمد بن يوسف أبو درقة:** من سلالة أحمد بن ادريس الأزهر بن ادريس الأكبر الذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي كرم الله وجهه .عالم زاهد، كثير القيام و الصيام و الصدقة، يختم القرآن الكريم كل يوم. كانت له درقة كبيرة يتوقى بها في الحروب ،فعرف بأبي درقة. دفن بتامسنة بقبيلة الشاوية بالقرب من وادي الربيع. ينظر: فتح الله بن الشيخ أبي بكر البناني، **اتحاف اهل العناية الربانية في اتحاد طرق أهل الله**، ط1، المطبعة العامرة الشرقية، 1324هـ،(د–م)، ص 127

[3]– يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، ص: 59.

[4] – octave depont Xavier coppolani ,op cit ,p213.

[5]– تقع هذه الزاوية في وادي قورارية العليا لقبيلة بني زروال، على بعد بضعة كيلومترات شمال مدينة فاس. مثلت دوما المركز الرئيسي للدرقاوة . تفرعت عنها عدة زوايا و أخذت شكلا مستقلا في ظل استمرار الريادة الروحية لزاوية بوبريج. ينظر:
RINN LOUIS, op , cit,p506.

[6]– سورة الأحزاب، الآية، 41.

بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ "[1] .وقد أكد رسول الله تلك المعاني الروحي فقال "لكل شيء صـــقال وصقال القلوب ذكر الله تعالى"[2].

إن الذكر في رأي أبي حسن الشاذلي أربعة أنواع ،ذكر لطرد الغفلة وأخرى لـــذكر النعـــيم أو العذاب وثالث ليتذكر المرء أن الحسنات من الله والسيئات من النفس ، ورابع يذكر فيه الله تعـــالى عبده وليس فيه للعبد متعلق[3].أما مراتبه فهي:

- **ذكر باللسان:** و هو ذكر العوام خوفا من نار الله عز وجل وطمعا في جنته.
- **ذكر بالقلب** :وهو ذكر الخواص وهي مرتبة الإيمان.

ويشترط في ذكر الله أن يكون في البداية على انفراد ،تفاديا للوساوس النفسية بهدف الوصـــول إلى اليقين، بالتزام التقوى والورع ، مصدقا لقوله تعالى: " **وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** "[4].

كما يرعي فيه أيضا التفكير في عظمة الله وآلائـــه، فالاســـتغراق في الـــذكر يرســـخ تصـــور الأحادية[5].وعموما تعتبر أوراد الطريقة الدرقاوية اقتباس من الطريقة الشاذلية الأم.

ج- **تعاليم الطريقة:** بتزايد انحراف الفكر الصوفي وذلك بعد ما طال الأمد على دعوة الشـــاذلي، ولجوء المجتمع إلى الكسل و التنعم ،الذي كشف الخروج عن تعاليم الشاذلية .

فقد عمل العربي الدرقاوي على العودة بأتباعه إلى الإسلام الأول ،فالهدف من تأسيس طريقته هو إصلاح الخلل الذي طرأ على تعاليم الشاذلية [6] ،فدعاهم إلى التزام الطريق الصحيح ،القـــائم علـــى سلامة الصدر وصفاء القلب ،فقد كتب لأحد المدعين للتصوف المملوء بعيوب النفس قائلا:

"كن سالم الصدر وانقص من صلاتك...ومن سائر أعمالك ،ولا تقم إلا بالمفروض...إذ لا تنفعك كثرة أعمالك مع خبث قلبك "[7] .

---

[1]- سورة الرعد، الآية، 28.

[2]- نصر السمرقندي، **تنبيه الغافلين** ،د ن ، القاهرة، د ت ، ص143.

[3]- علي أحمد أبو النظر، **درة الأسرار و تحفة الأبرار** ، د ن، الاسكندرية ، 1935، ص148.

[4]- سورة البقرة، الآية282.

[5]- السيد نور بن سيد علي، **التصوف الشرعي** ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2000م، ص 69.

[6]-عبد المجيد الصغير، **إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 19/18**.(**أحمد بن عجيبة ومحمد الحراق**)، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، الغرب ،1988، ص 40.

[7]- السائح علي حسن، **لمحات من التصوف و تاريخه**، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، د م، 1994، ص- ص 314- 315.

ويقوم التصوف الدرقاوي على مجموعة من المبادئ مثل مجانبة البدع والخرفات وإتباع الكتاب والسنة .

ورغم محافظة الدرقاوية على أذكار الشاذلية وأوردها ،إلا أنها جددتها عن طريق الممارسات الصارمة والانضباط المثالي والتقشف والابتعاد عن الشؤون الدنيوية .

وتتلخص مبادئها في التسامح و الحياد والمهادنة إزاء السياسة ، وخرق لعوائد لكونها تدعو إلى تصوف علمي اجتماعي ،يشارك في الحياة السياسية والاجتماعية ،ومن هذه التعاليم أيضا الالتزام بالعلم الظاهر والعمل بالواجب من المؤكد من نوافل الخيرات ،وتوحيد الله عز وجل ،وضرورة وجود شيخ للتربية والانقياد إليه، والاستسلام للأقدار الإلهية[1].

كما أكد الدرقاوي على الزهد في الدنيا وكبح جماح الشهوات و إذلال النفس و كسرها عن طريق التقشف في الملبس و المأكل، وكان أيضا يحث أتباعه على الاهتمام بحلقات الذكر و يعتقدون في فضلها كوسيلة للتربية الصوفية المؤدية إلى التجريد والفناء.

ورغم أن هذه المبادئ لم تكن مألوفة في الوسط الصوفي والديني بالمغرب ،إلا أنها قد أعطت دفعا جديد للشاذلية ،لبقائها من الناحية الفلسفية تلميذة لها[2].

د- **ومن أهم شعارات الدرقاوية** :

-لبس الرقعة: (الخرقة أو الدربالة)، وهو ثوب المرقع بعد ما أصبح باليا ،وغالبا ما يكون من الصوف الخشن ،ويدل هذا الشعار على الفقر عند الدرقاويين وهو رمز لذة النفس واحتقارها وتعبيرا عن الخشوع والتواضع ،تشبه بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

-السؤال :لازم لبس الرقعة الإقبال على سؤال الناس وهو يستمد مبرره وغايته من الشعار الأول ،فقد شدد شيوخ الدرقاوية على فضل الفقر عن الغني عند كبار المتصوفة .

-المشي حفاة: فقد استند المتصوفة إلى خطاب الله لسيدنا موسى عليه السلام حيث قال الله تعالى:" **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** "[3]. هذا الشعار يعزز صورة الضعف الضعف و التواضع الذي يميز الدرقاويين .

---

[1]- عبد المجيد الصغير، المرجع السابق، ص- ص 38- 43.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص 113.

[3]- سورة طه، الآية 12.

-**السبحة** :وهي وسيلة للعبادة و الذكر والتفكير ،فقد كانت سبحة الـــدرقاويين ذات شـــكل خاص فهي غليظة وثقيلة لكثرة كبر حباتها ،وتلف حول العنق ،كما أنهم كانوا يقولون أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يحملها.

-**اتخاذ العصا** :فهي سنة الأنبياء ،وزينة الصلحاء ،وعون للضعفاء، ورمز للرحيل والسفر إلى الدار الآخرة ،وفيها اقتداء بنبي الله موسى عليه السلام .

-**الرقص** :يرقص الدرقاويين ويتمايلون على إسم الله المفرد ،ويقولون أن جعفر بـــن أبي طالـــب رضي الله عنه ،كان يحتفي باسم الله بأداء الرقص .

-**العزلة** :يحب الدرقاويين العيش في عزلة وفي الصحاري و الكهوف ،ويستدلون على هذا بـــأن سيدنا عيسى عليه السلام كان يعيش على هذه الطريقة[1].

ولعل قول العربي الدرقاوي "من كان أشد حبا لله كان أشد بغضا لنفســـه" ،يتـــرجم مـــدلول شعارات الدرقاوية.

المبحث الثاني: دور الطرق الصوفية في العهد العثماني

أ-دورها في الميدان الديني والثقافي:

لعل هذا الجانب كان الأكثر تأثيرا باعتبار أن الدور الأساسي الذي وجدت من أجلـــه الطـــرق الصوفية هو نشر تعاليم الدين الإسلامي ،خاصة أن السلطة العثمانية لم تهتم بالجانب الثقافي ،و ذلك بالنظر للظروف الخارجية للجزائر العثمانية التي فرضت عليها الاعتماد على القوة الحربية لمواجهـــة القوى الأوروبية[2].

لهذا أخذت الزوايا على عاتقها مهمة التعليم بعد أن كانت تقف عند حد الإطعام وإيواء عـــابري السبيل ومنح "البركة" للأتباع.[3]

فمع ظهور الزوايا وانتشارها في كامل أنحاء البلاد برز دورها الأساسي في نشر الثقافة خاصة على مستوى الأوطان فأوجدت نوعا من التوازن بينهما وبين المدن.[4]

---

[1]- octave depont Xavier coppolàni op ,cit, p - p 252-264.

[2]- أحميده أعميراوي ، **علاقات بايلك الشرق بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي**، الجزائر، دار البعث قسنطينة، د ت، ص 135.

[3]- العيد مسعود ، **حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني**، قسنطينة مجلة سيرتا ع 3، 1980، ص 60.

[4]- مبارك الميلي ، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج 3 ، الجزائر مكتبة النهضة الجزائرية، ، د ت، ص317..

وبذلك ظهرت العديد من الطرق الصوفية كالطريقة القادرية و الرحمانية التي أعطت أهمية خاصة لنشر العلم، حيث ربطت الطريقة الرحمانية بين التربية الروحية وبث التعليم باعتبـــار أن مؤسســـها "**محمد بن عبد الرحمن**" كان من العلماء الذين حضوا بشهرة علمية مدوية واعتمد التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني أساسا على تحفيظ القرآن و تلقينه وتعليم القراءة و الكتابة.[1]

أيضا ساهمت الطرق الصوفية على تعليم مبادئ الدين الإسلامي الشريف في المواطن و الأصـــقاع البعيدة خاصة الأقاليم الصحراوية النائية ،بهدف نشر العلم ،و بذلك استطاعت الطرق الصـــوفية أن تضع أجيالا من العلماء الكبار و الفقهاء البارزين و القضاة ،الذين كان لهم دور هـــام في التطـــور الفكري والثقافي.[2]

كما كانت الزوايا بمثابة خزان لحفظ الدواوين و الكتب و المخطوطات في مختلف أنواع العتوم و الفنون و المعارف، وهذا لاهتمام شيوخها و طلابها، بالعلم و التعليم أو نقل الكتب و نســـخها وتأليفها و جمعها.[3] ورغم اقتصار التعليم لدى الطرق الصوفية على الذكور دون الإناث إلا أننا نجد أن المرأة درجت ضمن حلقة التربية و التعليم.[4]

ب– دورها على الصعيد الاجتماعي:

اتخذ التصوف بالجزائر ،أبعاد اجتماعية بسبب الظروف التي كانت تعيشها البلاد خلال العهـــد العثماني ،فكان له تأثير اجتماعي كبير في حياة المجتمع الجزائري فمنه ما كان إيجابي و آخر سلبي[5]، و من خلال هذه الجزئية سنتطرق إلى أهم التأثيرات الإيجابية السلبية للطرق الصوفية علـــى المجتمـــع الجزائري خلال العهد العثماني.

1–**الدور الايجابي**: احتل التصوف و طرقه مكانة هامة في حياة المجتمع الجزائري منذ ظهوره إلى يومنا هذا ، فانساق وراءه الكثيرون لما وجدوا فيه من مساواة و عدل ،فقد كان شكلا من أشكال

---

[1]–الميلي مبارك، **التعليم الديني بالجزائر وحظ الزوايا منه** ،مجلة الشهاب، ع 13، فيفري 1926م، ص– ص 269–270.

[2]– يحي بوعزيز ،المرجع السابق، ص 223.

[3]– المرجع نفسه، ص 223.

[4]– أحمد مريوش ، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، الجزائر منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ،د م، 2007م، ص137.

[5]– مختار حبار، المرجع السابق.

التعبير عن الغضب و التمييز بين مختلف فئات المجتمع،[1]فكانت من أهم التأثيرات الإيجابية للطرق الصوفية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ما يلي:

-تحقيق الوحدة الروحية بين أفراد المجتمع الجزائري نتيجة التلاحم الروحي و الديني بين الأوطان و تنقل الطلبة نحو جهات عديدة من الوطن ،وهو ما أدى إلى مد جسور المحبة بين طبقات المجتمع الجزائري.[2]

-عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية و الاقتصادية بين الفئات و الشرائح الاجتماعية المختلفة ألفت بين قلوبهم جميعا.[3] تطبيقا للآية الكريمة "**يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**".[4]

- اهتمت الطرق الصوفية بالتربية الدينية و التوجه القرآني ،و جعلته من أولى اهتماماتها في العلمية التربوية تهذيب المراهقين بالقيم القرآنية ،ونبذ العنف والتمرد و العصيان ،ومن ثمة الاتصاف بالصبر والثبات و التغلب على الشهوات ،و بذلك ينعكس هذا على سلوكهم اليومي و تكوين شخصيتهم.[5]

- الاهتمام باليتامى و الأرامل ،من خلال إيوائهم و التكفل بهم و بحاجتهم، و كانت تقدم الدعم و المساعدة للفقراء و المعوزين و عابري السبيل.[6]

- لعبت دورا هاما و رائدا في إنهاء الخلافات و الخصومات بين الناس ،أفرادا وجماعات و ذلك بفضل مكانة شيوخها و مقدميهم ووكلائهم، حيث قللت من الخلافات و المشاكل بين الناس، وهو ما أعطى استقرارا نفسيا و خلقيا للمجتمع الجزائري ،و اتخذوا من شيوخ هذه الطرق الصوفية قادة لهم، بدلا من الحكام المدنيين و القضاة الرسميين.[7]

-كما أن التربية المدنية و الاجتماعية أخذت قسطا وفيرا من القوانين ،كاحترام الوقت و المواعيد،

---

[1]- مختار حبار ، المرجع السابق.

[2]- مريوش، المرجع السابق ، ص134.

[3]- يحي بوعزيز ، المرجع السابق، ص 223.

[4]- سورة الحجرات الآية 13

[5]- مريوش، المرجع السابق، ص137.

[6]- علي خنوف ، المرجع السابق، ص- ص20-21.

[7]- يحي بوعزيز ،المرجع السابق، ص 223.

و أداء الفرائض، بالإضافة إلى بث العمل التطوعي بين صفوف الطلبة ،و المساهمة في جني المحصول الفلاحي ،هذا ساعد على إعداد أجيال تكون قادرة على تحمل المسؤولية.[1]

– الحفاظ على العادات وتقاليد المجتمع الجزائري ،من خلال مساهمة هذه المؤسسات وخاصة الزوايا في مختلف الأنشطة و تآزر مختلف فئات المجتمع الجزائري ، خاصة في مواجهة الأزمات ،ومن بين العادات و التقاليد التي حافظت عليها و بفضلها هي موجودة إلى يومنا هذا نذكر منها:

التويزة :وهي تعاون كافة المجتمع في القيام بأعمال ذات منفعة عامة ،دون مقابل، وكان يتم الإعلان عن موعد إقامة التويزة بمسجد الزاوية عقب الصلوات الخمسة.

– الاحتفال بالمواسم الدينية عملت على توفير الأجواء و الظروف الملائمة لإحياء المناسبات و الأعياد الدينية مثل الملد النبوي الشريف ،ليلة القدر...الخ.

– الاحتفالات الخاصة بوسم الحج فقدمت مساعدات مالية لبعض الحجاج، لتطلب الحج لتكاليف باهضة ،فينطلق الركب من الزاوية بعد توديعهم للشيخ، كما حرصت على توفير الأمن و السلام منذ انطلاقهم من الديار وحتى وصولهم للبقاع المقدسة.[2]

2-الدور السلبي:

مثل ما كان للطرق الصوفية تأثير ايجابي على المجتمع الجزائري ،فقد كان لها كذلك تأثير سلبي عليها، حيث انحرف البعض منها عن الطريق الحقيقي للتصوف، وتحول من العلم إلى الخرافة، ومن الولاية إلى الشعوذة . ومن أهم المظاهر السلبية التي نشرتها بعض الطرق الصوفية المنحرفة بين أوساط المجتمع الجزائري ولا يزال البعض منها موروث إلى وقتنا هذا ونذكر منها:

– شيوع ظاهرة الدروشة و انتحال صفة الولي و التسول باسم الطرقية، و الإكثار من زيارة القباب و الأضرحة و البكاء على القبور و الموتى ،هذه المغالاة أدت إلى الشرك أحيانا ، والابتعاد عن قضايا الدين القويم، كما نتج عن ذلك الاختلاط و الزنا والخلوة بالنساء تحت مظلة القضاء و القدر و التسول للمرابطين بغية تحقيق أعمال غير مقدور عليها.[3]

---

[1]– مريوش، المرجع السابق، ص173.

[2]– عبد الوهاب الشلالي ،**محاضرات في البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري في العهد العثماني**، قسم العلوم الانسانية، جامعة الشيخ العربي التبسي ،تبسة، 2007م/2008م.

3- مريوش، المرجع السابق، ص144.

– احتدمت الخلافات بين شيوخ الطرق الصوفية حول بعض القضايا الهامشية كالقبض في الصلاة، والجهر بالبسملة و قراءتها، فكان ذلك سببا في حدوث مشاحنات بين الأتباع.[1]

– شيوع ظاهرة الاعتقاد دون الانتقاد، فقد وضع الكثير من الجزائريين شؤونهم تحت إمرة الطرقيين و المشعوذين ،فكثر التدجيل باسم الدين الحنيف ،و اختلط التصوف مع المبتدعة ،فعمت "الحضرة"، وكثر التسول، وعبادة الشيخ والإكثار من زيارته.[2]

– أصبحت القباب و الأضرحة ملجأ يحتمي به الهاربون من العقاب ،فإذا فروا إلى الزوايا و الأضرحة لا يتم القبض عليهم إلا عند خروجهم من الزاوية أو الضريح.[3]

– عدم مسايرة رجال الطرق لمرحلة التنوير التي شهدها العالم الأوروبي بعد حركة الكشوف الجغرافية، ومظاهر الحضارة الحديثة التي استفادت من خبرة العالم الإسلامي في أزهى عصوره، رغم محاولات الإصلاح التي كانت تقوم بها الدولة العثمانية.[4]

المبحث الثالث: تحالف الطرق الصوفية مع السلطة العثمانية:

باعتبار أن العثمانيين أصبحوا جزء لا يتجزأ من المجتمع الجزائري، وبحكم التأثير و التأثر الناتج عن العلاقات القائمة بين الفئتين ،فمن الطبيعي أن يكون هناك انجذاب بين الطرفين، خاصة وأن الطرق الصوفية ليست بالأمر الجديد عن العثمانيين ، وهذا ما نتج عنه وقوع تحالف بين الطرفين ،فنالوا احترام العثمانيين فكانوا يتقربون إليهم "و يتبركون بهم و يطلعونهم على خططهم ونحو ذلك".[5]وبهذا بنيت العلاقة بين الطرفين على أساس المصلحة قبل العاطفة الدينية ولقد استفادت السلطة من هذا التحالف في أمرين :

– **أولا:** كان المرابطون يدعون إلى الجهاد و يجمعون التبرعات ،و التقت هذه الدعوات مع الأهداف السامية للجهاد البحري.

1- يحي بوعزيز ، المرجع السابق، ص 226.

2– مريوش، المرجع نفسه، ص144.

3– عمار عمورة ، **الجزائر بوابة التاريخ**، ج 2 ، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص169.

4– مختار حبار ، المرجع السابق.

5– أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج1، ص 469

– **ثانيا:** إدارة شؤون الجزائريين ،باستغلال سلطة المرابطين الروحية على كافة فئات المجتمع الجزائري الذي تتوقف سعادته و طموحه على سخط المرابط أو بركته ويكون العصيان و التمرد على غضبهم.[1]

فلم تقتصر السلطة الصوفية على توجيه الأهالي للجهاد ضد الإسبان فحسب ،بل تحالفت مع العثمانيين في إنهاء الوجود الإسباني بالمدن الساحلية ،فهذه عائلة الثعالبي تعاونت مع العثمانيين و عقدوا معهم معاهدة لصد العدوان الإسباني الذي تمركز ببرج الفنار المعروف بـــ"**صخرة البينون**".[2]

كما استفادوا من معاداة المرابطين للملوك الزانيين .[3] كما ذكرت الروايات التاريخية أن "**خير الدين**"[4]و ابنه "**حسن**"، زارا الشيخ "**أحمد الكبير**" ولي البليدة من أجل الاستفادة من تحالفه، وبالتالي كسب طرف مهم جدا و قوي من المجتمع الجزائري ،وكذلك زيارة رجال السلطة للشيوخ، للتبرك بهم، كالذي قام به "**بيري**" رايس و عمه القائد "**كمال**" رايس، حيث نزلا سنة 901هـ

[1]– حمدان خوجة، المصدر السابق، ص – ص112–115.

[2]– محمد أمين بلغيث ، **فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي**،– أنتير بسيني –، الجزائر،2007،ص– ص95–96.

[3]– **ملوك بني زيان:** حكموا الدولة الزيانية، التي أسسها بن تاشفين، كانت عاصمتها تلمسان . ولقد شهدت هذه الدولة أواخر عهدها ضعفا و انحلالا مما ساعد على احتلال الاسبان للعديد من المدن الساحلية الجزائرية . ينظر: بن خلدون أبو زكريا يحي، **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، تق وتح: عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م، ص 204.

[4]– **خير الدين:** هو خير الدين بن يعقوب بن يوسف. يكاد يتفق المؤرخون على أن مولده كان بمدينة مدلي. سنة 879هـ/1474م.ينظر: أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي ، **القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط**، تح وتق: ناصر الدين سعيدوني ، بيروت دار الغرب الإسلامي، ط1،1991، ص 32. أما وفاته فكانت في سنة 1547م. ينظر: الموسوعة العلمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشرو التوزيع، ط2،مج2، ص 297.عينه السلطان العثماني قائد للقوات البحرية العثمانية. ينظر: محمد بوشنافي ،**الجيش الانكشاري**، مذكرة ماجستير ،جامعة وهران، ص19.

بمدينة بجاية[1]و قصدا زاوية الشيخ "**محمد التواتي**"، وضلا "شتاءين" كاملين هناك حبا في الشيخ "**التواتي**" بينما كانا يذهبان في الصيف للغزو و الجهاد.[2]

وكان هذا سلوكا منتشرا بين رياس البحر، حيث كانوا يذهبون إلى الأولياء عند خروجهم للجهاد، تبركا بهم، كما ظهر في هذا العصر الاهتمام بتراجم الأولياء و كان هذا استجابة لنداء بعض الشيوخ،[3]حيث حذر الشيخ "**السنوسي**" من تجاهل أولياء الله، فيكون ذلك سبب هلاكهم وبوحي من هذا الرأي اندفع تلاميذ "**السنوسي**" ابتداء من القرن التاسع هجري، يؤرخون للمرابطين والأولياء، والصلحاء المعاصرين على حد سواء.[4]

وعن عائلة "**بن القاضي**" التي تحكم إمارة كوكو وجبال جرجرة، فقد قدم شيخها "**الحسن بن القاضي**" يد المساعدة للعثمانيين، فكان سفير مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني "**سليم الأول**" سنة 1519م، ليقترح بقاء خير الدين في الجزائر وبالتالي إلحاق الجزائر إلى الخلافة العثمانية كولاية تابعة لها.[5]

كما قدم "**أحمد بن يوسف المليانى**" يد المساعدة لـ"**عروج**" الذي استغل فرصة الخلاف بين الزيانية و"**المليانى**" –كما سبق الذكر في الفصل التمهيدي-[6]و استمر هذا التحالف طيلة العهد العثماني ،فقد أرسل "**خير الدين**" هدايا ثمينة إلى "**المليانى**" بعد نجاحه في ضم تلمسان، كما اعترف بابن المليانى خليفة لوالده في رئاسة الطريقة الشاذلية و نشر دعوتها ،كما تزوج حسين باشا من أحد حفيدات المليانى.[7]

---

[1]– **بجاية:** مدينة عتيقة بناها الرومان في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط، فيها جوامع ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه و العلوم. كان أهلها على قدر عظيم من الغنى. ينظر: الحسن الوزان ، **وصف إفريقيا**،تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م،ص 50.أول منطقة يتدخل فيها العثمانيون من أجل طرد العدو الإسباني الذي احتلها سنة 1510، بطلب من سكانها .ينظر: أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق، ص122.

[2]– أبو القاسم سعدالله ، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، ص469

[3]– ابن مريم، المصدر السابق، ص 6.

[4]– أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 477.

[5]– بعد أن كان ابن القاضي مؤيد لدخول العثمانيين الى الجزائر، ثار ضد خير الدين، وأخرجه من مدينة الجزائر سنة 1520م مما أدى بخير الدين إلى الانسحاب إلى جيجل وبعد خمس سنوات تمكن من الانتصار عليه وفرض غرامة على أتباعه. صالح عباد، المرجع السابق، ص 20.

[6]– أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، ص 465.

[7]– المرجع نفسه، ص 465.

أيضا نجد مساندة "**أحمد بوعكاز**" للعثمانيين في حربهم ضد الإسبان سنة 921هـ/ 1515م[1]، إذ شاركت قبيلة الذواودة في هذه الحروب بجيشين ،أحدهما رابض بشرق مدينة الجزائر، وثانيها في غربها.[2]

وفي قسنطينة استمال العثمانيون الشيخ "**عبد الكريم الفكون**" ،من أجل بسط نفوذهم على المنطقة، بعد أن التمسوا منه الموافقة والتحالف معهم،[3] وقد ساهم هذا التحالف فعلا في بسط نفوذ السلطة العثمانية على مستوى المناطق التلية، و التقدم نحو الجنوب الشرقي [4] في محاولة لإنهاء تحصن أولاد صولة بجبال "**الزاب**".[5]

بالإضافة إلى هذا كله كان العثمانيون يحسبون البعض من أملاكهم وقفا على الزوايا و الأضرحة، ومن أمثلة هذا ما تذكره الروايات التاريخية أن الباي "**حسن بن صالح**" [6]أخذ على نفسه نذرا تعهد فيه "ببناء دار لكل من الولي "**سيدي علي العريان**" و الولي "**محمد بن سيدي سعيد**" و إصلاح مسجد هذا الأخير إذ هو نجح في إحدى حملاته العسكرية.[7]

بالإضافة إلى ذلك كانوا يتبركون بهم ببناء المشاهد و القباب على قبورهم ومن بين النماذج على ذلك ما فعله الباي "**محمد الكبير**" عند ما اعتنى ببناء مشهد الولي "**محمد بن عودة**" والولي "**أحمد بن يوسف**".[8]

كما أعيد تجديد ضريح الولي "**عبد الرحمن الثعالبي**" أربع مرات، الأولى كانت على عهد "**مصطفى باشا**"[1] ،و الثانية في عهد "**حسين باشا**" ، (1233هـ/1818م)[2] ،أما الثالثة فقام بها

---

[1]- أحمد مريوش ، المرجع السابق، ص -ص 115-116.

[2]- المرجع نفسه،ص465.

[3]- حبار، المرجع السابق.

[4]- محمد أمين بلغيث ،**الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف الطريقة الشاذلية**،ط2، دار كتاب الغد المصادر الأجنبية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 2007، ص50.

[5]- **الزاب:** امتد قسم منها داخل الصحراء وتمر قوافلهم عبرها لتصل إلى بلاد السود، يدعى رئيسهم بأمين الميزابين الذي كان كان مقره في مدينة الجزائر، ومنها يدير شؤونهم بواسطة موظف تابع له . ينظر: سيمون يفاير، **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تع، تق: أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974م، ص 468.

[6]- **حسين بن صالح:** تولى منصب الباي في الفترة الممتدة ما بين 1221-1223هـ/1806-1808-م. ينظر: ناصر الدين سعيدوني ،**دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر(العهد العثماني)** ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984، ص 70.

[7]- أبو القاسم سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 1، ص153.

[8]- أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2 ، ص 469.

البـــاي "**الحـــاج أحمـــد**" حـــاكم بايلـــك الشـــرق مـــن ســـنة 1241هـــــ/1826م إلى غاية1245هـــ/1830م[3] ،في حين تم التجديد الرابع في عهد "**عبدي باشا**".[4]

وباستمرار القوة المتمثلة في سلطة الصوفية حتى فترة الحكم العثماني، واتساع انتشارها و نفوذها، جعل السلطة العثمانية، تبدي تخوفا منها خاصة وأن هناك من عارض وجودها في الجزائر، هذا مـــا استوجب عليها محاولة كسب هذه الفئة من الرجال الصوفيين إلى صفها بشتى الوسائل و الطرق من أجل استقرار الحكم لها في الجزائر ، فقدمت لهم مجموعة من الامتيازات تحفظ لهم مكانتهم، وتبقـــى على مساندتهم للعثمانيين.

أما في عنابة فقد تآزرت عائلة "**ساسي البوني**" مع العثمانيين و مدت لهـــم يـــد المســـاعدة ،إذ توطدت العلاقة بينهم،[5]وهو ما تجلى في التعاون المتبادل بين "**محمد الساسي البوني**" من جهة، وبين "**أحمد بن قاسم البوني**" و"**محمد بكداش**"[6] من جهة أخرى[7].

---

[1]– **مصطفى باشا**: تولى الحكم بعد وفاة حسن باشا . رجلا صالحا ،حليما، محبا للعلماء، رحيما بالفقراء و الأيتام، ومحبا للمجاهدين. ينظر: الزهار، المصدر السابق، ص154.

[2]– **حسين باشا**: هو الحسن بن الحسن. كان عاقلا و متدينا، محبا للعلماء والأشراف و الصالحين. تولى عدة وظائف إدارية قبل تولية السلطة من بينها خوجة الخيل. ينظر: فندلين سلوسر ، **قسنطينة أيام أحمد باي 1830–1837م**، تح، تع: أبو العيد دودو ، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2006م، ص– ص 232–244.

[3]– **الحاج أحمد**: باي هو أحمد بن محمد بن شريف .ولد سنة 1201هـــ/1786م. ينظر: **مذكرات أحمد باي وبوضربة و حمدان خوجة** ، تق: العربي الزبيري، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص 6. عينته السلطات العثمانية قائد عواسي على إحدى المناطق في بايلك الشرق من سنة 1807م، إلى غاية عام 1232هـــ/1816م ينظر: ناصر الدين سعيدوني ، **الجزائر منطلقات و آفاق "مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية"**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2000، ص 46. ثم ترقى إلى منصب خليفة ، بعدها عين بايا على البايلك سنة 1240هـــ/1826م. توفي عام 1255هـــ/1848م, ينظر يحي بوعزيز، **حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الغربية**، مركز الوثائق للعلوم الإنسانية ، وهران ،1982، ص 8.

[4]– محمد ابن ميمون لجزائري ،**التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح، تق: محمدبن عبد الكريم، ط 1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1972، ص 349.

[5]– حبار، المرجع السابق.

[6]– **محمد بكداش**: كان من أشهر دايات الجزائر. قتل بعد تأخره على دفع أجور الجند سنة 1710م. ينظر: صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514م/1830م**،،ط2،دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع الجزائر،2007م، ص151.

[7]– بن عون بن عتو ، **الوجود العثماني في الجزائر و انعكاسه على الحياة الدينية**، الموقع الإليكتروني : www,ulum,nl/ بتوقيت 19.20 سا 2015/03/15م.

كما اتبع العثمانيون في منطقة الأصنام- شلف حاليا- الأمر نفسه فقد عقد الشيخ "**محمد بن المغوفل**" حلفا مع السلطة العثمانية بمقابل أخذ البيعة منه و المناصرة يبقيه ممثلو السلطة العثمانية على الامتيازات التي كانت له من قبل في المنطقة، كما وعدته بتقديم الدعم المعنوي و المادي.[1]

ويستنتج من هذا كله أن العلاقة بين الطرفين كانت مبنية على المصالح ،سواء الذين مثلوا السلطة الروحية على مستوى المدن، أو على مستوى الأوطان، فبمقابل خدمات معنوية كانت أم مادية يقدمها القائمون على الزوايا للسلطة العثمانية ،كانوا يتلقون مقابلها امتيازات في كل المجالات، ومن بين النماذج التي يمكن أن تغطي على الأخر في هذا الصدد نذكر عائلة "**الفكون**" التي تحصلت على امتيازات كبيرة خاصة في المجال الاقتصادي، تمثلت في ما يلي:

- قيادة بعثة الحج مع الحق الكامل في اختيار أعضاء القافلة ،و الاستفادة من هذه المهنة ماديا بقدر الإمكان.
- إدارة جميع أوقاف الجامع الكبير دون مراقبة و لا محاسبة.
- إعفاء جميع الأوقاف التابعة للعائلة ،وجميع أملاكها من المطالب المخزنية.
- الإعفاء من الغرامات و السخرة، وحق دخول المدينة و الخروج منها، و حق توفير الطعام و السكن.
- كما نالت العائلة مجموعة من الهدايا و العطايا العقارية وغيرها ،ومن حق العشر من الزرابي و الخشب ،ومن حق المكلس على أسواق الخضر و الفواكه.
- حظيت باحترام السلطة و تقديرها، فكل من يلتجئ إلى العائلة سواء إلى المترل أو إلى غيره و لو خارج المدينة ،لا يتعرض لأي عقوبة و لو ارتكب جريمة.[2]

ويبدو من خلال ما ذكر ، أن علاقة السلطة العثمانية بعائلة الفكون كانت قائمة على المصلحة هذا ما يستنتج من خلال الامتيازات التي منحت للعائلة ،خاصة تلك المتعلقة بإعطاء الأمان المطلق لكل شخص يقصد الزاوية ،و حتى و إن ارتكب جريمة مهما كانت خطورتها ،و هذا ما دلت عليه العبارات المستقاة من وثيقة تاريخية مؤرخة في أواخر محرم من سنة 1243هـ/1827م يؤكد ذلك إذ جاء فيه ما نصه: "...وهي منجا للهاربين ومنفذ للخائفين ...وأن جميع الهاربين لها و الحلين بساحتها لهم الأمان و العافية والإحسان، حتى و لو أذنب الكبير من الذنب لا يخرجه أحدا منها

[1]- أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2**، ص466.

[2]-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ،ص- ص 520-521.

و يهتك حرمتها ،كما جرت بذلك العادة القديمة..."[1]

فنستنتج من هذا النص التاريخي ما يلي:

– أن الأمان الذي كان يعطي للمجرمين كان عرفا و تقليدا سار عليه كل الحكام العثمانيين بدليل العبارة التلية "كما جرب بذلك العادة القديمة".

– أن الزاوية كانت بمثابة حصن مانع للمجرمين مهما كانت نوع جريمتهم بدليل العبارة التالية "حتى و لو أذنب الكبير من الذنب".

–كانت للزاوية مكانة مقدسة لدى السلطة العثمانية بدليل عبارة "ولا يهتك حرمتها".

–وبالتالي مثلت عائلة الفكون النموذج الحقيقي لمكانة الطرق الصوفية و رجالها على مستوى المدن، أما على مستوى الأوطان فنذر "**أولاد مقران**" الذين اقتطع لهم الداي "**الحاج محمد**"سنة1064هـ/1682م إقليم مجانة من باي قسنطينة ومنح إدارته لـ"**عبد القادر بن سيدي محمد أمقران**".[2]

كما نجد "صالح باي"(1138-1207هـ/1725-1792م) استمال المرابطين بمنحهم الكثير من الامتيازات ،فاستطاع بذلك بسط نفوذه على مناطق كثيرة جبال عمور ،و بلاد الميزاب ،ومنطقة الأغواط، وتقرت.[3]

أما "**يوسف باشا**" الذي حكم الجزائر ما بين (1627-1650م) فكان يتقرب إلى المرابطين بإعفائهم من دفع المطالب المخزنية، و المهادنة، فاستطاع بذلك القضاء على الكثير من العقبات التي كان من شانها تهديد الاستقرار و الأمن.[4]

بالإضافة إلى هذا ،فقد جعلت السلطة العثمانية من الزاوية أو الضريح مكان مقدس، فلم يكن يسمح لأي كان مهما كانت مكانته، أو جنسه، أو رتبته أن يتعرض لهذه الأمكنة تحت أي ظرف من الظروف، و نص الوثيقة التاريخية يؤكد ذلك فجاء فيه ما يلي " ...**ولا يتعدى عليه أحد من**

---

[1]– عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق، ص 47.

[2]– المرجع نفسه، ص47.

[3]– **تقرت**: موقع هذه الإمارة–أو مشيخة القبيلة– ما بين وادي ريغ إيغار غار بالجنوب الشرقي إلى نواحي الجريد التونسي، و كان تأسيسها على يد الحاج سليمان بن رجب بن جلاب سنة 854هـ/1450م، وكان الرئيس منها يحمل لقي "شيخ" و تارة "سلطان" و من أهم رؤساء هذه الإمارة عشرة شيوخ أولهم الحاج سليمان ثم جاء بعده أبناؤه ينظر: عبد الرحمن الجيلالي ،المرجع نفسه، ج 3، ص 264.

[4]– مريوش، المرجع السابق، ص120.

أهل النوبة و لا من يكسر عليه حرمته منا و لوقوفه مع النوبة في اتيان الأرزاق و لوجه جده المذكور ولطعمه الفقراء و المساكين كتب عن إذن المعظم الأرفع مولانا الدولاتلي السيد على باشا".[1] أواسط شوال (1168هـ)[2]

كما تجب الإشارة إلى أن تقديم الامتيازات لهذه الفئة الحساسة كان له سلبياته التي أثرت بطريقة أو بأخرى على الحياة الاجتماعية و الاقتصادية ،فقد أسس الكثير منهم ثروة كبيرة على حساب المجتمع الجزائري ، ومن النماذج التي تؤكد هذه الظاهرة ما فعله "**أحمد بوعكاز**" لما ادعى الطريقة و المشيخة و إقامة الحضرة أمام صمت الادارة العثمانية، فجنى من ذلك الكثير من المنافع المادية[3].

ومهما يكن من موقف المرابطين و علاقتهم بالعثمانيين ،فإنه كانت لهم سلطة سياسية و نفوذ كبير على المجتمع الجزائري ،الأمر الذي جعل السلطة العثمانية تبدي مخاوفها منها، فلجأ إلى شتى الوسائل من أجل كسب ولاءها ،و إن لم يتحقق ذلك فإنها تلجأ إلى وسائل أخرى للحد من تأثيرها على القبائل التي تكون تحت سيطرتها ،لمنع أي تمرد من شأنه زعزعة الاستقرار و النظام العام الذي فرضته السلطة العثمانية بفضل ممثليها البايات.

[1]- علي خنوف ، المرجع السابق، ص- ص 20-21.

[2]- الموافق لـ جويلية 1755م.

[3]- أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 2، ص471.

الفصل الثاني :

صراع السلطة العثمانية مع الطرق الصوفية

المبحث الأول : أسباب صراع السلطة العثمانية مع الطرق الصوفية.

المبحث الثاني : تمرد الطريقة الدرقاوية على السلطة العثمانية.

المبحث الثالث : تمرد الطريقة التيجانية على السلطة العثمانية

المبحث الرابع : نتائج صراع السلطة العثمانية مع الطرق الصوفية.

المبحث الأول: أسباب صراع السلطة العثمانية مع الطرق الصوفية

لم يكن الصراع بين السلطة العثمانية مع بعض الطرق الصوفية ،صراع بين طرفين فقط و إنما هو صراع السلطة مع جزء من المجتمع، الذي تحرك بأمر شيخه ،و قرر أن يعارض كل من تعرض إلى ذلك الرمز الذي يؤمن به ،وقبل التعرض لبعض من النماذج التي مثلت هذا الصراع ،لا بد لنا أن نقف عند حقيقة المصطلح ،إذ أن معظم المصادر و المراجع[1] المعتمد عليها في هذه الدراسة وصفت ما قامت به بعض من هذه الطرق بـــ"**الثورة**"[2] ،و السؤال الذي يطرح نفسه بهذا الصدد هل بالفعل ارتقى هذا الصراع إلى مستوى الثورة، أم كان مجرد حركة تمرد و عصيان مسلحة، كان يرجى من ورائها تحقيق أهداف جزئية ؟ وللإجابة على هذه الإشكالية كان لابد لنا أن نبحث في المفاهيم العامة لكل هذه المصطلحات.

أما الثورة فهي عمل عسكري يسعى إلى تحقيق التغير الجذري لكل الأوضاع السياسية والاقتصادية و الاجتماعية، ولا يقف هذا العمل إلا بتحقيق كل الاهداف المسطرة.[3] في حين يعرف التمرد بذلك الرفض و المقاومة للسلطة ويتخذ أشكالا متنوعة، فمنه ما هو ذهني، ومنه ما هو معنوي، ومنه ما هو اجتماعي مثل الخروج عن الأعراف السائدة و خرقها ، ومنه ما هو تمرد فردي إزاء السلطة و يقرن بالاستعمال العنف بشكل مباشر لمنع السلطة من القيام بواجباتها الطبيعية، كما يشترط في الثورة أن تكون شاملة و منظمة و تحت قيادة موحدة.[4]

فلقد أبدى البعض من رجال التصوف معارضة شديدة على النهج الذي عملوا به العثمانيين ، و اعتبروه تسلطا ،و من ثمة أعلنوا التمرد و العصيان ،محاولين بذلك تجنيد أكبر عدد من الساخطين على السلطة سواء كانوا من الأتباع، أو من الناصرين للطريقة ،أو من بعض القبائل التي كانت في هذه الحركة متنفسا لها عما كانت تراه ظلما و جورا في حقها. و قبل أن نعرض بعض النماذج من هذه الحركات علينا أن نقف أمام مسببات هذا التمرد، و ما الذي جعل من الفئة الأكثر احتراما

---

[1]-من بين المصادر التي وصفت العمل المسلح الذي قادته بعض الطرق الصوفية بـــ"**الثورة**" نذكر على سبيل المثال الحاج أحمد شريف الزهار، المصدر السابق أما عن المراجع فنذكر على سبيل المثال أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،و ناصر الدين سعيدوني ،دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر .

[2]-الثورة لغة "ثار الشيء ،ثورا ،و ثوارنا". ينظر: جمال الدين ابن منظور ، **لسان العرب**، ط$_2$ ،مج: 4+11 ، دار الصدارة، بيروت، 1384هـــ/1992م، ص 108.

[3]- أحمد رضا، **معجم متن اللغة**، مج$_5$،بيروت-لبنان، منشورات مكتبة الحياة،1377هـــ/1985م،ص273.

[4]- عبد الوهاب الكيالي ، **الموسوعة السياسية**،ج$_1$، المؤسسة العربية، د م ، 1979م ، ص 529.

و تقديرا من السلطة ترفع لواء العصيان و التمرد في وجه هذه الأخيرة؟ وما هي طبيعة هذه الثورات و الانتفاضات؟ وما هي التأثيرات الناجمة عن هذه السياسة؟

فهناك مجموعة من الأسباب التي تكاد أن تكون مشتركة بين كل حركات التمرد و العصيان عبر كل مكان و زمان .ومن هذه الأسباب نذكر:

ا– الأسباب السياسية:

إن حركات العصيان بالنسبة لبعض الطرق الصوفية تعتبر وسيلة تعبير عن المعارضة بشكل مباشر و فوري، ومن خلالها تتحدى اللامبالاة و الإهمال من طرف السلطة الحاكمة، كما تشكل نوع من المعارضة السياسية التي تسعى لأن تفرض ذاتها في الساحة السياسية حتى و إن كان بإشهارها العمل المسلح ضد السلطة العثمانية . فالمعروف على الحكم العثماني في الجزائر أنه لم يفسح المجال لعناصر جزائرية أن تحتل مناصب سياسية مرموقة، و بالتالي الوصول إلى قمة الحكم[1]

كما نستطيع القول أن تخوف فئة الأتراك من السكان حال دون اندماجهم في المجتمع ما جعل المجتمع يبتعد عنهم ويعتبرهم في درجة الأجانب و يحقد عليهم لما فرضوه عليهم من ضرائب وإتاوات، و قد حالت الأقلية التركية دون إمكانية اندماج أفرادها في أواسط الجزائريين وكان الاغتيال و التمرد هي الوسائل الأنسب في نظرهم التي تستعملها القوى المعارضة لتصفية حساباتها و بالتالي عاش النظام في الجزائر منعزلا متقوقعا على نفسه، ومن أهم مظاهر التهميش السياسي لذوي الأصول الجزائرية في تمثيل الحكومة لدى القوى الأوروبية و كل ما يتعلق بصلاتهم بالباب العالي واقتصر القيام بهذه الأدوار على العنصر العثماني بدءا من الداي ،الخزناجي خوجة الخيل، ووكيل الخرج، الذين كانوا كلهم من الأتراك.

ب–الأسباب الاقتصادية:

إن الأحوال الاقتصادية للأفراد في مختلف الأمكنة لها تأثيرها ،فعدم امتلاك هذه العناصر المتمردة من المجتمع الجزائري لما يمكنها أن تقدمه للسلطة العثمانية من مطالب عينية و نقدية، تجعلها تتهرب أو تتماطل ،ومن المعلوم بأن الحكم العثماني في الجزائر كان يعتمد كثيرا على جباية هذه المطالب ولا تتسامح أبدا مع من يتماطل أو يرفض الدفع، لهذا تقابل من يرفض بالعقاب

[1] حديجة دوبالي، **رسائل أحمد باي إلى حسين باشا** (1240-1245هـ/1826-1827م)، دراسة و تحليل، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة وهران 1426-1427هـ/2005-2006م.ص96.

و المصادرة، ما خلق صراع بين الطرفين فنتج عنه الدخول في مواجهة مسلحة و هذا ما كشفته لنا بعض الوثائق العثمانية[1].

فشن الحملات العسكرية الانتقامية التي كان يقوم بها بعض البايات نوع من التهميش التي كان يقصد من ورائها فرض النفوذ و استخلاص الضرائب بالقوة ، مما يجعل الأهالي يعلنون التمرد و العصيان و الحملات العسكرية هي السبب في ذلك مثل حملة الباي عثمان سنة 1787م على منطقة عين ماضي[2].

وبعد تراجع الجهاد البحري و تقلص الغنائم البحرية، بسبب تغير الظروف الدولية و انقلاب ميزان القوى في البحر المتوسط، فهذا التراجع في نشاط البحرية أدى إلى تراجع مداخيل الخزينة[3].

كل هذه الأوضاع أدت بالسلطة العثمانية بفرض ضرائب جديدة على الرعية وإخضاع المناطق التي لم تنلها يدهم من قبل، فأصبحت تلجأ إلى التهديد بواسطة الحملات العسكرية المتتالية لجباية الضرائب[4].

لقد أدت هذه الحملات في كثير من المناطق إلى الفساد ونشرت الفقر و الرعب وخربت الزرع بغير حق و هو ما زاد في نمو العداوة و الحقد بين السلطة و الرعية و اصطدام السلطة برجال الزوايا و الطرق الصوفية الذين أصبحوا يتكلمون باسم الرعية ويدافعون عن مصالحهم خاصة في الأرياف، مما أدى إلى وقوع الصراع بين السلطة وبعض الطرق الصوفية[5].

بالإضافة إلى هذا فقد شملت سيطرة العنصر العثماني على الامتيازات التي حصل عليها الأوروبيون و اليهود من إدارة الجزائر ،حيث قرب الدايات الأوروبيين و اليهود و الكراغلة والأندلسيين على حساب الأهالي ،و قد اعتبر الجزائريين هذا إخلالا بالقاعدة الدينية، فقد سيطر الفرنسيون عبر الشركات الملكية و الوكالة الإفريقية على التجارة الخارجية للشرق الجزائري لمدة طويلة من الزمن و كذلك الإنجليز لما لهم من قوة بحرية و رغبتهم في إقصاء فرنسا من الشمال الإفريقي ،و قد خلف اليهود الفرنسيون و الإنجليز في النفوذ و ذلك بما لديهم من نفوذ لدى الدايات

---

[1]- خديجة دوبالي، المرجع نفسه،ص97.

[2] - RINN, LOUIS,op,cit,p:422

[3]- ناصر الدين سعيدوني/المهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العهد العثماني** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984، ص:38.

[4]- المرجع نفسه ، ص 36

[5]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه ، ص 39

وخصوصا بعد أن استلمت لهم الوكالة في 1794م و كذلك تسلمهم لميناء القل و جيجل. هذا إضافة إلى الامتيازات التي حصل عليها التونسيون و المغاربة الذين تحكموا في أسواق الشرق والغرب لضعف الرقابة الاقتصادية.

ج- الأسباب العسكرية:

وليحافظ الأتراك على وضعهم الاجتماعي كانوا يستقدمون بين فترة و أخرى جماعة أتراك الأناضول للعمل في فرق الأوجاق كما كان للانكشارية تأثير كبير في سياسة البلاد و منع الجزائريين من الانخراط في هذا الجيش و لم يسمحوا بتجنيد الجزائريين في حين كان قانون التجنيد في الولايات العربية الأخرى بالمشرق(دمشق) يسمح بتجنيد السكان المحليين كانت حاجة الجزائر لهؤلاء الجنود تدفعها إلى إرسال بعثات ووكلاء جزائريين للإشراف على التجنيد يظهر التهميش العسكري في عدم مشاركة الجزائريين في الدفاع عن البلاد و الاعتماد على الجنود الأتراك العثمانيين و هذا ما حافظ على الطابع العثماني للدولة الجزائرية، اذ في حين حرم الجزائريون من المشاركة في هذا المجال كان الجنود الاتراك يعثون في البلاد فسادا. ويضيف دوتاسي على أن هؤلاء الجنود أشقياء و محكوم عليهم بأحكام قاسية

د- الأسباب النفسية والاجتماعية:

إن إعلان التمرد و العصيان على السلطة الحاكمة من طرف أي مجموعة من المجتمع يعني أن هذه الأخيرة أصبحت لا تؤمن بشرعية الحكم العثماني عليها، وبذلك فهي تلغي وجود هذه السلطة من ذهنها، كما أنها كانت ترى في شيخها الذي يتزعم هذه الحركة هو الرمز البديل، و بذلك فهي تتحرك بأمره، و تتوقف بأمره أيضا. فالملاحظ من خلال هذه الدراسة أن شيوخ الطرق الصوفية كانت كلمتهم مسموعة و مهابة، كما كانت لهم سلطة روحية على المجتمع الجزائري ،و سيطرة معنوية عليه، فمن الطبيعي أن يثوروا مع هؤلاء الشيوخ و يرفع لواء التمرد و العصيان في وجه من همش أو أهان رمزها الروحي.

ونستطيع القول أن اعتقاد الكثير من الناس بأن رجال الوطن الجزائريين –خصوصا آل البيت النبوي الشريف – هم أحق بالحكم من الأتراك ،يعد كذلك من أسباب الثورة، حتى أن الشيخ

التيجاني ذكر يوما حكام الجزائر آنذاك فقال فيهم:" أنهم كفار لنبذهم الأحكام الشرعية و تقديم القوانيين الفرنجية عليها بغير ما أنزل الله".[1]

ومجمل القول أن التهميش بمختلف أشكاله كان سببا لتحرك بعض الحركات التمردية التي قامت بها بعض الطرق الصوفية، في وجه السلطة العثمانية، أواخر عهدها في الجزائر، فمنها ما اكتسى الطابع السلمي، ومنها ما كان مسلح، و التي سنتعرض لبعض النماذج عنها.

أ- الحركات التمردية قبل تمرد الطريقة الدرقاوية و التيجانية:

قبل التطرق إلى التمردات التي قامت بها بعض الطرق الصوفية ضد السلطة العثمانية الحاكمة يجب أن نذكر الحركات التمردية التي سبقتها. و هي تلك التي كانت في بداية العهد العثماني بالجزائر، و لو أن مجموعة المصادر و المراجع المتحصل عليها لم تقدم أي معطيات تاريخية تخدم هذه النقطة، إلا أننا نجد ذكر بعض هذه الحركات.

ومن النماذج التي توصلنا إليها ما قام به "**أحمد بن ملوكة التلمساني**"، لما عارض القائد "**عروج**" عند دخوله مدينة تلمسان و نظر لسياسته أنها عدوان على التلمسانيين و لابد من التصدي لها و محاربتها، فجند شيوخ المنطقة لتعبئة الرأي العام الداخلي ضد التواجد العثماني في المنطقة، إذ يذكر أبو القاسم سعد الله بهذا الصدد أن معظم المرابطين المتواجدين في تلمسان و نواحيها كانوا ضد العثمانيين، ومنهم الشيخ "**موسى اللاتي**"، و الشيخ "**عبد الرحمن اليعقوبي**"[2]و من بين المعارضين أيضا "**الحسن القاضي**" الذي كان في البداية من المؤيدين ، ثم ثار ضد خير الدين سنة 1520م وتمكن من إخراجه من مدينة الجزائر ، و السيطرة عليها لفترة خمس سنوات، ثم استرجعها منه خير الدين.[3]

وكذلك حفيده "**عمر ابن القاضي**" ،الذي كان أيضا بمنطقة بني خيار ببلاد زواوة، و دفعه ذلك للتحالف مع الملك الإسباني فليب الثالث في جوان 1603م[4]، بغرض التصدي للانكشارية، لكن المرابط "**سيدي منصور**" كشف المؤامرة ،وكان معاديا للتقارب بين عائلة بن القاضي

---

[1]- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التيجاني و أتباعه، مدونة اللي الصالح سيدي بن عزوز، د م، د ت، ص- ص9-10

[2]- أبو القاسم ،سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص- ص 467- 468

[3]- يقال أن أتباع الحسن قاموا بقطع رأسه وأخذوه إلى خير الدين من أعماله الوحشية. ينظر:

Chevalier Corine. Les trente premières années de letrovale d'Algérie « 1510 -1541 ».o.p.v alger. P 51

[4]- أحمد مريوش و آخرون، المرجع السابق، ص 122.

والإسبان واستقبل الجيش التركي في منطقة بني حنادشة سنة 1618م[1]،وتعاون معه على ابن القاضي والإسبان.

هذا و قد عرفت مرحلة محمد عثمان باشا(1766م-1791م)تمردات مختلفة ،عدم الطاعة و الانصياع للعثمانيين، ومن أمثلة ذلك ما أقدم عليه سكان جبل فليسة بمنطقة جرجرة ببلاد القبائل الذين خرجوا عن طاعة الأمير ،ومنعوا الزكاة وحرموا البنات من الإرث.

وفي سنة1789م[2] بعث إليهم عثمان باشا بفرقة تأديبيه، ولكنها وجدت مقاومة عنيفة وانهزمت في الجولة الأولى و الثانية و لم تستطع الانتصار عليها إلا في الجولة الثالثة بعد أن عزز الباشا جنده.

2- المبحث الثاني: تمرد الطريقة الدرقاوية[3] على السلطة العثمانية

1-ثورة الطريقة الدرقاوية بالشرق الجزائري (تمرد ابن الاحرش الدرقاوي) :

قامت ثورة **"ابن الأحرش"** في قسنطينة، هذا الأخير الذي اشتهر بالبودالي أو الشريف المغربي، و قال عنه **"المزاري"** و **"الزياني"** بأنه: "فتى مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة درعي النسب"[4].أما **"العطار"** فقال عنه أنه: "رجل مغربي يزعم أنه من شرفاء فاس"[5]. وانتسابه إلى المغرب لا يعني أنه من المغرب فعلا، بل جرت العادة في هذه الفترة أن كل غريب يدعي النسب و يدعو إلى طريقة أو حركة ثورية، غالبا ما ينسب نفسه إلى الساقية الحمراء أو منطقة سوس ،وهذا حتى يكسب هيبة و مكانة لدى العامة[6].

---

[1]- أحمد مريوش و آخرون، المرجع السابق ،ص 122.

[2]- أحمد مريوش المرجع السابق ، ص- ص 122- 123.

[3]- للاطلاع على الطريقة الدرقاوية أنظر الصفحة رقم 34 من الفصل الأول.

[4]- ابن عودة المزاري ، **طلوع سعد السعود في أخبار مدينة وهران ،والجزائر و إسبانيا، وفرنسا أواخر القرن 19م**، ج1، تح: يحي بوعزيز، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1964م ، ص 299.

[4]- أحمد المبارك العطار ، **تاريخ حاضرة قسنطينة**، تح و تع: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1982م، ص 46.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، **"ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي و الانتفاضة الشعبية**، الثقافة، ع78، 1983م، الجزائر، ص 201.

[6]- الحاج أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**،ط2 ،تح: أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ،1980م، ص 85

اشتهر أمر ابن الأحرش بعد رجوعه بقافلة الحج التي قادها من المغرب سنة1804م،و قد صادف مروره بمصر الحملة الفرنسية على مصر 1798م، حيث انضم مع جماعة من المغاربة إلى الجنود المصريين. و قد أكسبته مشاركته ضد الفرنسيين شهرة لما أبداه من شجاعة[1]

ولا يستبعد دور بريطانيا في تشجيع ابن الأحرش لأنها كانت تحسد فرنسا على الامتيازات التي حظيت بها في الشرق الجزائري[2]، وحتى فرنسا نفسها التي كانت تحظى بامتيازات بالجزائر ،قامت قنصليتها باستيراد الأسلحة و بيعها للقبائل القاطنة بالشرق الجزائري ،تشجيعا لها على الثورة[3].

و يقول" **الزهار**" أن "**حمودة باشا**" استدعى "**ابن الأحرش** " ووسوس له قائلا "أن رجلا مثلك شجاع يجب أن يذهب إلى ملك الترك (بالجزائر) و ينزعه من أيديهم ونحن نمدك بما يخصك و العرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك"[4]، فمن خلال رواية الزهار نلاحظ أنه يفسر لنا الأسباب التي دفعت حمودة باشا إلى تحريض ابن الأحرش ضد العثمانيين حتى يصرف نظرهم عنه، و يذهب صاحب تحفة الزائر إلى القول بأن "ابن الأحرش " عندما كان راجعا من مصر لقيه صاحبها "**حمودة باشا**" الذي أكرم مثلته و فاوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعده بالمظاهرة بالمال فاستكان له ابن الاحرش[5]

وضع "**ابن الأحرش** " لحركته أسلوب الدعاية، إذ استقر بزاوية "**سيدي الزيتون**" ناحية جيجل التي كان يقدم فيها دروسا لتفقيه الناس ثم أسس معهد "**بني فرقان**" نواحي جيجل لتلقين العلوم الدينية، أين كشف عن مشروعه الثوري ضد العثمانيين، بعد ما كسب التأييد من طرف هذه القبائل، ما زاد في شعبيته ادعاؤه انه المهدي المنتظر، وصاحب الوقت.[6]

---

[2]– محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الاحتلال 1830م**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1972م،ص 29.

[3]– محمد العربي الزبيري، "**مقاومة الجزائر للتكتل الأوروبي قبل الاحتلال**"، الأصالة، ع 12، 1983م، ص 14.

[4]– الزهار ،المصدر السابق، ص 87.

[5]– محمد بن عبد القادر الجزائري ،**تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر**، ج1،ط2، شرح و تع: ممدوح حقي ، دار اليقظة العربية: بيروت ، 1964.

[6]– المزاري، المصدر السابق، ص 299.

أ- الهجوم على قسنطينة 1803هـ:

بعدما تهيأت لابن الأحرش الأرضية الخصبة التي تبنت حركته، خاصة بعد انسحاب الحامية العسكرية من مدينة جيجل من دون أي مقاومة،[1] إضافة إلى كثرة أنصاره المقدر عددهم بمائة ألف رجل قادر على حمل السلاح[2]، قام ابن الأحرش بإخضاع مدينة القل ،ثم عنابة التي انسحبت منها الحامية العسكرية نحو قسنطينة، و كاد ابن الأحرش أن يستولي على المدينة لولا انشغال جنوده بنهب كل ما وجدوه متجاهلين نصيحته بالاكتفاء بفتح المدينة فقط[3].

و في هذه الظروف شرع قائد الدار و "**الشيخ محمد الفكون**" بإطلاق المدافع الذي شتت صفوف الثائرين و قدرت خسائر ابن الأحرش بحوالي مائتي رجل ، فأمر أنصاره بإعادة الهجوم ليلا لكنه أصيب بجرح خطير مما اضطره إلى الانسحاب إلى واد الزهور[4].

ب- معركة واد الزهور:

لما وصل خبر الهجوم على قسنطينة هدد داي الجزائر مصطفى باشا (1798م-1805م) الباي عثمان بقوله :"رأسك أو رأس ابن الأحرش"[5]، فغادر الباي شهر أوت سنة 1804م المنطقة، متجها نحو واد الزهور على رأس قوة تقدر بـــ أربعة آلاف جندي (4000) و ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل (3500) من القبائل المخزنية و أربعة مدافع (4).[6]

انضم "الزبوشي"، وهو أحد مرابطي الطريقة الرحمانية ناحية ميلة ، والذي كان ناقما على العثمانيين خاصة بعدما انتزعوا منه امتيازاته التي منحه إياها بايات قسنطينة سابقا إلى ابن الأحرش مما زاد في قوته، فأرسل الباي فرقة عسكرية قدرت بـــ مائتي فارس(200) يقودها آغا المحلة إلى ناحية واد الزهور ،لكن هذه الحامية وجدت نفسها محاصرة من طرف القبائل و مات العديد منها ، ولما وصل خبر محاصرة الفرقة إلى الباي سار لنجدتها، و قد ساعدته المدافع على فك الحصار عنها، رغم تعرضه لمناوشات القبائل كبني عيدون و بني مسلم...و لما أراد التراجع لم يستطع ،لأن الطريق كان قد سد بالأخشاب و الحواجز، مما اضطره إلى أن يمر بسهل واد الزهور، و هنا قام ابن الأحرش

---

[1]- بلغيث، المرجع السابق، ص 65.

[2]- العطار، المصدر السابق، ص 46.

[3]- سعيدوني، "**ثورة ابن الأحرش**"، ص 205.

[4] -DE NEVEU, **Les khouans ordre religieux chez les musulmans de l'Algérie, l'Algérie, 2eme Ed,** Imp. De A.Guiyot, Paris, 1846.

[5] -op .cit ,p 126

[6]- Ibid,p 130

بتحويل مجرى الواد نحو معسكر الباي الذي تحول إلى مستنقع يصف لنا صاحب تحفة الزائر هذا قائلا :"فأمر ابن الأحرش بالنهر فسد ثم أطلق على المعسكر أول الليل فما طلع الفجر إلا و الماء قد عم السهل كله".[1]أما العنتري فيقول :"أنهم حولوا من ميل الواد المذكور عن مجراها...إلى المرجة التي بها المحلة و أهلها لم يشعروا بتلك المكيدة حتى أدركهم الغرق"[2]، و لم يجد الباي مسلكا لفك الحصار المضروب عليه إلا طريق ضيق و صعب يعرف بممر **"بوغدر"** حيث سقط ،فاغتنم الزبوشي الفرصة و لشدة حقده عليه طعنه بسيفه، و داس على عينه، وقتل معه خمسمائة جندي(500) و ثلاثة من نوابه[3] دون إحصاء فرسان قبائل المخزن.

إضافة إلى سلب الأموال التي أخذها معه.[4] و لما وصلت أخبار مقتل الباي عثمان و تشتت قواته إلى دار السلطان، أرسل الداي مصطفى باشا الحاج علي آغا على رأس جيش رفقة الباي الجديد عبد الله بن اسماعيل و كلفهما بملاحقة ابن الأحرش ،حيث تمكن هذا الباي الجديد من إلحاق الهزيمة بابن الأحرش نواحي ميلة، لكنه ظهر فجأة ببجاية، في محاولة للاستلاء على بجاية سنة1806م لكنه هزم ثانية أمام العثمانيين بمساعدة آل المقراني المتحالفين معهم[5]

و قد تضاربت الأخبار حول تاريخ و مكان وفاة ابن الأحرش ،فهناك من أشار إلى أنه قتل بمكان يسمى **"الربطة"** قرب سطيف على يد فرق الحامية العثمانية و القبائل المتحالفة معها تحت زعامة آل المقراني المتحالفين معهم[6]،إلا أنه ظهر من جديد يقاتل في صفوف الدرقاوي بالغرب الجزائري، حيث شارك مع زميله المدعو ابن الشريف في معركة **"عين السدرة"** بغريس قرب مدينة معسكر...هذا ما أورده مسلم بن عبد القادر بقوله :"درقاوة اجتمعت في معركة يوم السدرة

---

[1]- محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق، ص117.

[2]- محمد الصالح العنتري ، **سنين القحط و المصبغة- مجاعات قسنطينة**، تح و تق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974م.ص 32.

[3]- محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق، ص 118.

[4]- العنتري، **"مجاعات قسنطينة"**، ص33.

[5]- ابن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، 1973، ص 43.

[6] -VAYSSETTE,"**Histoire de Constantine sous la domination Turque**" in **R.N.M.S.A.C**, 2éme série, vol 2, 1862,p :479,480 .

باغريس...كان قدوم ابن الأحرش على درقاوة من الشرق ،فازدادوا بقدومه فرحا و سرورا"، كما شارك ابن الأحرش مع ابن الشريف في معركة أخرى عرفت بـــ"**يوم ابن الأحرش**".[1] .

أما عن موته فيُذْكر أنه قتل على يد ابن الشريف [2]لأنه كان منافسًا خطيرا له، خاصة و أنه أظهر استقلالية عن شيخ الطريقة الدرقاوية، مولاي العربي، و نقلت جثته إلى مدينة فاس بطلب من السلطان المغربي[3].

و بالرغم من الصدى الذي لقيته ثورة ابن الأحرش، والتفاف القبائل حوله إلا أنه فشل في الحد من تعسف و ظلم العثمانيين ،ولعل ذلك يعود إلى موالاة قبائل الشرق الجزائري عموما للطريقة الرحمانية الموالية للعثمانيين[4]، ونجاح الباي في عزل ابن الأحرش عن أغلب القبائل التي ساندته لأول مرة، بتقديم المكافآت و الهدايا لأعيان المدن و شيوخ القبائل و الزوايا[5].بالإضافة إلى نفور سكان المدن من ابن الأحرش، إذ كانوا منغلقين على أنفسهم مترفعين عن أعالي الريف، الذين كانوا يرون في سكان المدن أعوانا للبايلك[6]

2-ثورة الطريقة الدرقاوية بالغرب الجزائري(1217هـــ/1802م)(تمرد ابن الشريف الدرقاوي):

تنسب الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري[7] إلى "**محمد بن عبد القادر بن الشريف الفليتي**"[8]الذي بدأ نشاطه منذ سنة (1192هـــ/1771م)برفض طاعة العثمانيين، و يقول المزاري في هذا الصدد :"صارت عامة درقاوة تجتمع إليه فيخرج بهم إلى الصحراء فيجتمعون إليه و تتلقاه

---

[1]- مسلم بن عبد القادر ، **أنيس الغريب و المسافر**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974، ص 95.

[2]- محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق، ص118.

[3]- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 43.

[4]- سعيدوني، "**ثورة ابن الأحرش**"، ص 216.

[5]- سعيدوني ،نفسه، 218.

[6]- نفسه،ص219.

[7]- أنظر الملحق رقم:08

[8]- يعود أصله إلى قبيلة"**كسانة**" القاطنة بوادي العبد جنوب سهل غريس، درس مبادئ اللغة العربية بمسقط رأسه في قرية "أولاد "أولاد بليل" ثم التحق بمعهد القيطنة التابع للطريقة القادرية، رحل إلى المغرب و درس بزاوية بني زروال على يد الشيخ الدرقاوي ، الذي لقنه مبادئ الدرقاوية، ثم عاد إلى مسقط رأسه، بعدما عينه شيخه مقدما له. ينظر: المزاري، المصدر السابق، ص301.

الأعراب بالفرح و السرور، وصارت كل شيعة تهدي إليه الهدايا و يأتون إليه...بالعطايا و يشتكون إليه ضرر المخزن و ما هم فيه من أداء المغارم"[1]فتصدى لهم الحاج خليل باي[2].

و لما عين الباي محمد الكبير ،الذي نشر الأمن و قضى على اضطرابات قبائل أولاد علي بن طلحة و الحشم و فليتة و حميان و عمور و جميع قبائل بني راشد[3]. و لم تظهر تحركات الدرقاويين بجدية إلا في سنة (1217هـ/1802م)، لما هاجم ابن الشريف جيش البايلك في وهران فتصدى له الباي و طرد الدرقاويين من تلك النواحي[4]

لقد كان هذا العامل سببا مباشرا لإعلان ابن الشريف الثورة ضد السلطة العثمانية في بايلك الغرب،وقد دام الإعداد للثورة و جمع الأنصار مدة خمس سنوات (1800م-1805م) [5].

وبارك العربي الدرقاوي هذه الثورة و وعد أتباعه بالنصر :"فكان ابن الشريف يعد أنصاره بالفرج القريب و يجمع منهم الهدايا و يهبها إلى شيخه و يدفعها إليه و يخبره بما يعانيه أتباعه من إهانة و مظالم الترك، فأجابه شيخه :"عليك بجهادهم وقتالهم و إن الله ينصرك عليهم"[6]

استغل ابن الشريف انهزام إحدى المحلات العثمانية أمام قبائل الأنجاد المتمردة ضدهم و أعلن ثورته فتوجه برجاله نحو البطحاء قرب واد مينا، حيث كان معسكره، فوقعت اصطدامات بينه وبين رجال الباي مصطفى و سميت هذه الواقعة بـــ"**واقعة فرطاسة**"[7]

بدأ الصراع بمعركة فرطاسة، و حصار وهران سنة (1220هـ/1804م)، حيث توجه ابن الشريف إلى الشمال، وصمم على ضم مدينة معسكر[8]

---

[1]- المزاري، المصدر السابق، ص- ص 302- 303.

[2]- أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص17.

[3]- أحمد بن هطال التلمساني ، المصدر السابق، ص17 .

[4]- بلغيث، المرجع السابق ،ص- ص 65- 66.

[5] - BOYER, PIERRE, "Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans larégence d'Alger 16éme-19éme siècle" in R.O.M.M, N°1, 1966,p42

[6]- محمد بن يوسف الزياني،**دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران** ،تح :المهدي البوعبدلي، ط1،الشركة الوطنية الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1978، ص 208.

[7]- **فرطاسة:** قرية بين وادي مينا ووادي العبد، جنوب مدينة غليزان، تبعد عن مدينة وهران بـــ 150 كلم ، سماها الفرنسيون وادي الأبطال. ينظر: BOYER, PIERRE,op,cit, p 42 .

[8]- المزاري، المصدر السابق، ص 306.

وبعدما عززت قوات ابن الأحرش الدرقاويين، هاجم ابن الشريف العثمانيين لأول مرة في "**فرطاسة**"،يوم الأحد(08ربيع الاول 1219هـ/17جوان 1804م)، وحاول الباي مصطفى استرجاع مدينة معسكر، لكن جيوش ابن الشريف هاجمته بفرطاسة و كبدته خسائر مادية و بشرية[1]

بعد انتصار ابن الشريف حاول دخول مدينة وهران، و باقترابه منها استمات سكانها في الدفاع عنها، وفي هذا يقول حمدان خوجة :"وعندما رأى الباي مصطفى استحالة صد ذلك الجمهور من الناس و محاربته ،سلم أبواب المدينة وركز قواته وراء الحيطان "[2]

وقد ترتب عن هذا الانتصار انضمام القبائل المتمردة، كما تمكن ابن الأحرش من الدخول إلى معسكر دون أي مقاومة ،حيث جعل منها مقرا له و لعائلته، بعدها كاتب القبائل لتعلن الجهاد ضد العثمانيين و الموالين لهم، وطلب منهم مبايعته، وهذا ما أورده الزياني قائلا :"قد نزعنا عنكم ظلم الترك و الذل ...و المغارم و المكوس فالواجب عليكم مبايعتنا فوافقه جم غفير، و خلق كثير"[3]

حاصر ابن الشريف مدينة وهران برا[4]و سيطر على مناطق واسعة من بايلك الغرب، فانقطعت فانقطعت كل الطرق ما عدا الطريق البحري الذي كان المنفذ الوحيد لوصول الإمدادات إلى وهران[5]

و في هذه الظروف عين الداي سنة (1200هـ/1805م)، الباي "**محمد بن عثمان المقلش**" لفك الحصار عن مدينة وهران[6]

وقد عمد في سياسته للقضاء على ابن الشريف إلى الدهاء السياسي و استعمال كل الوسائل القمعية ضد الدرقاويين، و مصاهرة القبائل الأكثر اتصالا بهذه الثورة[7]

وفي أثناء حصار المدينة، كان داي الجزائر قد أرسل إلى المولى سليمان بالمغرب يطلب منه إرسال الشيخ العربي الدرقاوي ليتدخل لدى مقدمه ابن الشريف ، حتى يتوقف عن نشاطه السياسي

---

[1]- نفسه، ص 304.

[2]- حمدان خوجه، المصدر السابق، ص- ص 168- 169.

[3]- الزياني، المصدر السابق، ص 209.

[4]- المصدر نفسه، ص 210.

5- محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق، ص 15.

6- أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 114.

7- الجيلالي، المرجع السابق، ص291.

بالمنطقة، فاستجاب السلطان للطلب، و أرسل الشيخ الدرقاوي مبعوثا عنه يسمى الأمين "**الطاهر باردو**" الذي توقف عن مهمته بعد اطلاعه على تعسف السلطات العثمانية، و عند ذلك عزم الباي على القضاء على أنصار ابن الشريف[1]ما أجبر ابن الشريف على التراجع أمام ضغط الباي محمد المقلش نحو مناطق أخرى.

تعرضت ابن الشريف و هو في طريق تراجعه، عدة قبائل أهل الغرابة و البرجية و بني شقران حيث تعرضوا للقتل و الأسر و السبي و غنم منهم الحاضرون غنائم كثيرة[2]

وبعد هذه الهزيمة انسحب ابن الشريف إلى معسكر فطردوه و قبضوا على أهله و أتباعه و سجنوهم[3]،فتوجه ابن الشريف إلى بلاد البرجية و تحالف مع مجاهر، بغرض الاستعداد للهجوم على المخزن، فتصدى له الحشم و البرجية بأمر من الباي و هزموه[4]

وبعد تشتت قوات ابن الشريف ،توجه الباي إلى بلاد البرجية، فعلم بأن الدرقاوي يريد الزحف نحوه، و أن بني عامر و المجاهر قد اجتمعوا يريدون إعلان الحرب ضده. و بعد أن استشار الباي أهل مخزنه، اتفقوا على محاربة الدرقاويين و طردهم من تلك النواحي[5]و تابع الباي ملاحقة الدرقاويين ما بين وهران و معسكر[6]

استقر الباي بوهران أياما، و لما علم بأن الدرقاوي قد حل بغريس خرج إليه بجيشه وعرفت هذه المعركة بـــ"**عين السدرة**" و هي التي شارك فيها "**ابن الأحرش**" و هزم فيها الدرقاوة بعد وصول الإمدادات للعثمانيين[7]، فرجع الباي إلى وهران [8] أين واجه الدرقاويين في منطقة جديوية.[9] كما هزموا هزيمة كبرى في معركة "**تافنة**" المعروفة "**بيوم ابن الأحرش** " و التي ذهب

---

[1]- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج2، ط1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، المغرب، 1985 ،ص 151

[2]- الزياني، المصدر السابق، ص 214.

[3]- المزاري، المصدر السابق، ص 311.

[4]- الزياني ،المصدرنفسه، ص 215.

[5]- المزاري، المصدر نفسه، ص 314.

[6]- نفسه، ص 322.

[7]- BOYER, PIERRE,op,cit,p 43.

[8]- المزاري، المصدر نفسه، ص 324.

[9]- الزياني، المصدر السابق، ص214.

ضحيتها العديد من الطلبة[1].كما واجه درقاويين آخرين بمنطقة التوتة بوادي العبد، فقتلهم و غنم منهم أموالا.

وفي سنة (1222هـ/1808م) عزل الباي محمد بن عثمان المقلش و عين مكانه "**مصطفى بن عبد الله**" مرة ثانية الذي واصل محاربة الدرقاويين و هزمهم بمنطقة الثعالبة ببلاد فليتة و مدغوسة ببلاد خلافة[2]

تولى بايلك وهران بعد ذلك (1808م-1813م) الباي محمد بن عثمان الملقب ببوكابوس أو المسلوخ، الذي شتت قوات الدرقاويين و طاردهم، فانتقل ابن الشريف إلى بني سناسن و استقر عندهم[3]

وفي سنة(1228هـ/1813م)خلع الباي محمد بن عثمان و عوضه "**علي قارة**" الذي حارب ابن الشريف في بني سناسن و طرده منها.

و بعد عزل الباي علي و تعيين "**الباي حسن بن موسى**" سنة (1232هـ/1817م) ذهب ابن الشريف إلى فقيق بالصحراء ، ثم انتقل إلى بني سناسن ، حيث مات هناك و هو محل خلاف بين المصادر سواء المحلية أو الأجنبية، فالزياني و مسلم بن عبد القادر يتفقان على أن نهايته كانت ببني سناسن جراء الوباء[4]، في حين أن "**دي نوفو**" يذكر أنه قد مات بالطاعون[5]

إلا أن **هناك** بعض المصادر تذكر أن الدرقاوي ظهر سنة 1816م، وأثار القبائل الصحراوية كقبائل الأحرار لكنه انهزم و انسحب نهائيا إلى فقيق[6]

وبهذا فشلت الثورة أمام تراجع دعم و موالاة السلطان المغربي الذي أحس بتحول ميزان القوى لصالح العثمانيين و شجب تصرفات شيخه و مقدمه عبد القادر بن الشريف.[7]

---

[1] -BOYER, PIERRE,op,cit,p 44 .

[2]-مسلم بن عبد القادر، المصدر نفسه، ص97.

[3]- المزاري، المصدر السابق، ص- ص329-330.

[4]- الزياني، المصدر السابق، ص 277.

[5] - DE NEVEU,op.cit,p 133

[6] - BOYER, PIERRE,op,cit, p43

[7]- الغالي غربي، **الثورات الشعبية أثناء العهد التركي**، رسالة ماجستير في قسم التاريخ الحديث و المعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1986/1985.

3-المبحث الثالث: ثورة الطريقة التيجانية[1] (1221هـ/1806):

لقد كان أحمد التيجاني يتمتع بمكانة واسعة وسط الصحراء، الأمر الذي جعل الحكام يتخوفون منه، لذا فقد اتسمت العلاقة بينهما بالعداء و النفور منذ البداية ، بالإضافة إلى كون عين ماضي بعيدة عن أعين السلطة المركزية و هو ما سمح لسكانها بالإحساس بنوع من الاستقلالية، و لما حاولت السلطة اخضاعها و النيل من خيرات الطريقة تولد لديها عداء ضد النظام التركي[2]

كما أنه لا يتوجب علينا أن ننسى التقارب الذي كان بين التيجانية و الحكام في كل من المغرب الأقصى و تونس، إضافة إلى الزيارات المستمرة التي كان يقوم بها الشيخ أحمد التيجاني بين عين ماضي –تلمسان- فاس- في الوقت الذي كانت فيه العلاقات على غير ما يرام بين هذين القطرين و السلطة العثمانية في الجزائر، هذا ما أثار مخاوف العثمانيين و اعتبروه بمثابة مؤامرة سياسية ضدهم بالتنسيق مع سلطان المغرب.[3]

إضافة إلى عامل الوشاية الذي اتخذه أعداء التيجاني وسيلة لتأديب البايات على الطريقة التيجانية مستغلين الهاجس الذي أحدثته الثورة الدرقاوية في نفوس البايات و يقول يحي بوعزيز في هذا الصدد:"...يضاف الى ذلك كثرة الوشاة و السعاة في غير مصلحة البلاد و كان الغرب الوهراني يعج بأحداث درقاوة التي ذهبت الأخضر و اليابس ...وصار البايات يتوجسون خليفة من هذه العائلة (التيجانية)..."[4]

لقد لجأ العثمانيون إلى تطبيق سياسة صارمة تجاه بعض الطرق الصوفية و الزعامات الروحية ، والتي مست حتى رجال بعض الطرق الذين كانوا يميلون لها كالقادرية مثلا.

---

[1]- للتعرف على الطريقة التيجانية أنظر الصفحة رقم 28 من الفصل الأول.

[2] -DE NEVEU,op.cit,p 120

[3]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1،ص519.

[4]- يحي بوعزيز، **وثائق جديدة حول محازبة الأمير عبد القادر للشيخ التيجاني "في المجلة التاريخية المغربية**،العدد55،56،السنة 16، تونس،1989م،ص 325 .

ويبدأ هذا الصراع بالحملة التي شنها "**الباي محمد الكبير**" سنة 1782م[1] حتى هجرة الشيخ أحمد التيجاني إلى فاس في عهد مؤسس الطريقة ثم بدأت مرحلة أخرى و التي تبدأ من عودة أبناء الشيخ أحمد التيجاني إلى عين ماضي و تنتهي بإعلانها الثورة على الباي حسن .

و قد كانت الحملة التي قادها الباي محمد الكبير سنة1782م- السابقة الذكر- نحو الجنوب الصحراوي[2]، بداية النفور بين التيجاني و السلطة العثمانية، كما عاد إلى عين ماضي في حملة ثانية سنة1784م كان الهدف منها إخضاع عين ماضي و الأغواط لسلطة بايلك الغرب ، حيث لما دخلها قدم له سكانها الولاء و الطاعة و دفعوا له الخيل و الخدم و المال، و أكملوا له ما تبقى من اللزمة[3]كما فرض عليهم ضريبة سنوية تقدر بـــ 188ريال [4]

وكان وقتها الشيخ أحمد التيجاني مقيما في قرية أبي سمغون بعد أن كان الباي محمد قد طرده من تلمسان.[5]

وبعد سنة فقط أي سنة (1785م) غزاها صالح باي قسنطينة في حملة لإخضاع منطقة الأغواط و جبل لعمور للسلطة[6]و نفس الشيء قام به عثمان محمد باي بعد سنتين(1987م) ليأخذ الضريبة عنوة من أهلها [7]ونتيجة للضغوط التي تعرض لها الشيخ ارتحل إلى فاس برفقة تلاميذه وأولاده، أين أعلن للسلطان المغربي بأنه هرب من جور الأتراك و ظلمهم[8] .

ورغم هجرة الشيخ إلى فاس و امتناعه عن مواجهة الباي عثمان سنة 1787م، الذي فرض عليها ضريبة سنوية قدرها 18ألف ريال[9]، فإن الشيخ طلب منهم الخضوع للسلطة و دفع ما

---

[1]- **الباي محمد الكبير**: هو محمد بن عثمان الكردي، عين بايا على الغرب الجزائري سنة **1771**م،استرجع مدينة وهران 1792/01/29م فلقب بـــ: محمد الفاتح، اتشمت سياسته الداخلية بمزيج من الليونة و الشدة، أخمد الثورات ووسع سلطته لتشمل الجهات الصحراوية، ومن أعماله إعادة بناء المسجد العتيق، تشييد المسجد الأعظم و المدرسة. ينظر: ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص- ص 124- 126.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج2**، ص- ص 509- 510.

[3]- ابن هطال، المصدر السابق، ص- ص 73- 74.

[4] - RINN LOUIS, op cite, p - p 420 -421.

[5]- ابن هطال ،المصدر السابق، ص 74.

[6]- أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766-1791)**،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م،ص 153.

[7] - RINN, LOUIS,op,cit,p 420.

[8]- أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، ص 272.

[9]- RINN, LOUIS,op,cit,p 422

تستحقه قائلا :"إياكم أن تخالفوه أو تقاتلوهم(الباي) فقد حدث الأمر من عند الله بما قلته و دليل ذلك أن الأمر (المعاصي)قد عم ببلاد الصحراء"[1]

وبلجوء الشيخ أحمد التيجاني خيم الهدوء و الحذر على العلاقات العثمانية التيجانية حيث لم تسجل أي حملة على عين ماضي بعد خروج التيجاني وأهله من الجزائر و تركيز نشاطهم في فاس إلى جانب التنقلات التي كان يقوم بها من حين إلى آخر وإلى جهات مختلفة من الصحراء لنشر طريقته. فقام بزيارة إلى الصحراء ثم نزل ببلدة عين ماضي حيث توافدت عليه الوفود من كل ناحية كأبي سمغون، تقرت، وادي سوف ، وكانت له زيارة أخيرة إلى عين ماضي سنة 1813م تمكن من خلالها من ملاقاة الأحباب من كل ناحية واستطاع إعادة الأمور إلى نصابها في بلدته بعد أن كان التجاجنة —و هم فرع من عشيرته ناصبوه العداء ربما نتيجة الحزازات العائلية أو هم ممن أخذ موقف الشك من طريقته– قد تآمروا ضده فاغتنم فرصة وجوده واستغل نفوذه الديني للثأر منهم و طردهم خارج البلاد.مما سيدفع هؤلاء إلى التحالف و الاستنجاد بالباي حسن عند عودة ولدي الشيخ أحمد التيجاني.[2]

بعد وفاة أحمد التيجاني سنة 1815م، و عودة أتباعه إلى عين ماضي ، عملوا على نشر تعاليم الطريقة مما جعلها تكسب نفوذ كبير في أواسط السكان و هو ما أثار مخاوف الحكام الذين كانوا يترقبون أية حركة دينية خاصة وأن التيجانية ظهرت في وقت اشتد فيه الضغط على النشاط الديني، فقرر الباي حسن القضاء عليها قبل أن يستفحل أمرها فجهز جيشا سنة 1820م توجه به نحو عين ماضي، التي دخلها بعد حصار دام أربعة عشرة ساعة و أمام هذا الوضع عرض سكانها على الباي مبلغا قدره 100.00بوجو(أي ما يعادل 350 ألف فرنك) مقابل رفع الحصار و تأمين أرواحهم[3]

وفي سنة1822م هاجمها باي التيطري "**مصطفى بومزراق**" الذي منعه سكانها من الدخول[4]، الدخول[4]، هذا الأمر دفع بسلطات البايلك إلى تجهيز حملة أخرى بقيادة الباي حسن سنة1825م ، حيث حاصرت قواته المدينة مدة شهر كامل انتهت بعقد صلح بين الطرفين، فتوسط لهم لدى الباي "**محمد بلخروبي القلعي**" مقابل دفع غرامة تقدر بـــ 200ريال كانت تدفع عينا و 500 ريال

[1]– الجيلاني، المرجع السابق، ص 288.

[2] –RINN, LOUIS,op,cit,p423.

[3] - Ibid ,p 423

[4]- BOYER, PIERRE ,op,cit,p :45.

كغرامة سنوية[1].و لم يكتف العثمانيون بهذا بل عملوا على مراقبة "**محمد الكبير**" فلما كان عائدا من الحج أمر الداي "**حسين باشا**" من باي قسنطينة أن يعترض طريقه و يلقي القبض عليه لكنهم فشلوا في ذلك ويقول الزهار بهذا الصدد: "...فذهب السيد محمد للحج عن طريق الصحراء، وكان ملوك الترك يخافون منهم أن يثوروا عليهم لكثرة أتباعهم من العرب ،فعندما سمعوا بذهابه إلى الحج أمر الأمير حسين باشا باي قسنطينة أن يتعرض طريقه عند قدومه و يوقفها فلم يمكنهم الله منهم في ذلك الوقت" [2]

أمام هذه الضغوطات التي تعرض لها التيجاني لم يجد سبيلا إلا إعلان الثورة على العثمانيين فيقول الزياني بهذا الصدد :" أن التيجاني لما رأى ما حل به بغير موجب حق ظهر له مقاتلة الأتراك و الغزو على الباي حسن فاتصل بسكان غريس الذين بايعوه و اتفقوا معه على محاربة الباي حسن"[3]

كما كاتب الشيخ التيجاني القبائل الرافضة للسلطة العثمانية مثل بني عامر ،البرجية، الزمالة، و الدوار لكنها رفضت الدخول معه خوفا من الهزيمة[4] بعدها اتصل بقبيلة الحشم التي انضمت إليه[5]، بعدها زحف التيجاني بجيش قدر بـــ 600 رجل نحو معسكر لكنه لم يتمكن من الاستلاء عليها نظرا للمقاومة العنيفة التي لقيها من طرف سكانها ،و تمكن الباي حسن من هزيمة التيجاني بعد انسحاب قبيلة الحشم ، وحسب ما ذكر الزياني ،فإن الباي حسن اشترى أعيان القبيلة بالمال وأعطى لأعيان الحشم و كافة العرب أموالا كثيرة فأوقعوا به الهزيمة و فروا منه[6].

ورغم هذا إلا أن التيجاني لم ينسحب ، بل صمد حتى قتل رفقة ثلاثمائة رجل[7]. ويصف لنا "**الزهار**" ما حل بهم بقوله :"فقطعوا رؤوسهم و فرقوها على المدن لكي يعتبر الناس و بعثوا برأس الحاج محمد... ومعه بعض الرؤوس الأخرى للجزائر و أتوا بسيفه و بعض الحجابات (التمائم) التي كانت عليه ... و جعلوا رأس ولد التيجاني في عمود و صلبوه... وعلقوا الرؤوس الأخرى حوله.

و لكثرة ما كان الأتراك يخافونه بعثوا للسلطان محمود الثاني يبشرونه بقتله، وبعثوا له بسيفه

---

[1]– الزياني، المصدر السابق، ص 242.

[2]– الزهار ،المصدر السابق، ص 159.

[3]– الزياني، المصدر نفسه، ص– ص 242– 243.

[4]– الغالي، **الثورات الشعبية** ،ص 192.

[5]–BOYER, PIERRE ,op ,cit ,p 71.

[6]– الزياني، المصدر السابق، ص 247.

[7]– محمد بن عبد القادر الجزائري ،المصدر السابق، ص 135

و الحجب التي كانت معه و احتوى الباي على أثقال التيجاني و أمواله و رجع إلى وهران..."[1] أما **"الزياني" فيقول:**"...فصار جيشه (التيجاني) يذبون عن أنفسهم و يسارعون في مشيهم نحو بستان أولاد رَحُ وهو بستان عظيم من الهندية ليتحصنوا به فحال بينهم و بينه جيش الباي و أوقفوهم بموضع يقال له السمار و أداروا بهم دور مقياس و اشتد القتال بين الفريقين إلى أن قتل التجيني بجميع جيشه و لم يفلت منهم أحد، ومات خليفة السيد إبراهيم بن يحي من أولاد سيدي محمد بن يحي، ومن جيش الباي عدد كثير منهم محمد ولد قدور البحتاوي و قايد غمرة و خلق كثير وتكسر آغا السيد الحاج محمد المزاري من ركبته اليمنى..."[2] .

هذا ما يعني أن هذه الثورة لم تحقق أهدافها حيث استطاع الباي القضاء عليها بسهولة و بكل عنف، و ربما يرجع فشلها إلى كونها جاءت عفوية و لم تتسم بالتنظيم الذي شهدته الثورة الدرقاوية بالشرق و الغرب الجزائري.

المبحث الرابع: نتائج صراع السلطة العثمانية مع الطرق الصوفية:

لقد كانت لثورات الطرق الصوفية المتمثلة في ثورة الدرقاوة و التي كانت بقيادة ابن الأحرش بالشرق الجزائري ، وابن الشريف بالغرب الجزائري، و ثورة الطريقة التيجانية بالصحراء آثارا وخيمة في جميع المجالات والتي فتحت الباب واسعا أمام الانتفاضات الشعبية و عجلت بدخول الفرنسيين إلى الجزائر و سقوط نظام الدايات، و يمكن نلخص نتائج هذه الثورات في النقاط التالية:

خلفت هذه الثورات آثارا سلبية على أوضاع البلاد لما حل بها من أضرار اقتصادية كبيرة كما أشارت إلى ذلك بعض المصادر، و قد صادف هذا الواقع حدوث كوارث طبيعية زادت من سوء الأوضاع المعيشية للسكان ، بحدوث الجفاف بالشرق الجزائري الذي أدى إلى ارتفاع الأسعار و غلاء المعيشة ، وهو ما يؤكده العنتري بقوله :"فحصلت للناس شدة و مجاعة، و قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك... و تفرقوا بسبب الهول الواقع"[3]و لا يختلف عنه الزياني و مسلم بن عبد القادر القادر و الزهار الذي يصفها "بنار الفتنة"[4]

---

[1]– الزهار، المصدر السابق، ص160.

[2]– الزياني، المصدر نفسه، ص247.

[3]– العنتري، "**مجاعات قسنطينة**"، ص 41.

[4]– الزهار، المصدر السابق، ص 87.

استطاعت هذه الثورات التأثير على الحكام أنفسهم مثل الباي "**بوكابوس**" (1808م-1813م) الذي تولى الحكم بعد الباي المقلش ،حيث أن هذا الأخير انتمى إلى الدرقاوة و تحالف مع سلطان المغرب مولاي سليمان الذي ألبه ضد السلطة المركزية[1]

ساهمت هذه الثورات في القطيعة النهائية بين السلطة و العلماء، فسقطت معها مكانة العثمانيين في نظر العام باعتبار القائمين عليها هم ممثليهم من فقهاء و شيوخ طرق و مرابطين، و هو ما أضعف نفوذهم خاصة بالأرياف فأدى إلى ظهور حركات تمرد واسعة بين القبائل برفضها لدفع الضرائب[2]

و من أبشع نتائج هذه الثورة كذلك أنه ذهب ضحيتها العديد من رجال الدين سواء الذين استشهدوا في المعارك كالكاتب أحمد بن هطال التلمساني و العلامة الأديب أبو عبد الله السيد محمد الغزلاوي[3] كما ذهب ضحية الثورة التيجانية 300إلى 600قتيل و عدد كثير من جيش الباي[4]

وقد هاجرت بعض القبائل من تلمسان إلى المغرب و رفضت العودة إلى الجزائر حيث فضلوا مجاورة النصارى على الأتراك[5]

إن انتصار الباي حسن على الشيخ التيجاني زاده طغيانا في الإقليم الغربي، حيث قتل الكثير من رجال الزوايا والعلم كالحملة التي قادها ضد الشيخ بلقندوز وسجنه للشيخ محي الدين و ابنه عبد القادر بوهران و منعهما من أداء فريضة الحج ،و قتله لولي الله سيدي الحاج البوشويخي[6]

و رغم إخماد ثورة ابن الأحرش و هجرة الشيخ التيجاني ، إلا أن المعارضة ظهرت من جديد في العديد من مناطق البلاد خصوصا مع نهاية القرن التاسع عشر ميلادي(19م)، حيث تذكر الروايات التاريخية بهذا الصدد أنه في عهد حسين باشا1246هـ/1818م-1830م[7]شهدت البلاد البلاد الكثير من الاضطرابات في مناطق مختلفة قادتها قبائل متمردة على السلطة و متحالفة مع شيوخ بعض الطرق[8]كما اقتنع سكان الأرياف بإمكانية الثورة على سلطة البايلك و رفض دفع المطالب

---

[1] - BOYER, PIERRE,op,cit,p43

[2]- ناصر الدين سعيدوني، "ثورة ابن الأحرش"، ص 217.

[3]- المزاري، المصدر السابق، ص 304.

[4]- الزهار، ص 159.

[5]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج1**، ص 421.

[6]- المزاري، ص316.

[7]- أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 127.

[8]- أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ص 462.

المخزنية وشجعت آخرين على التمرد و قد وصف الزياني سنوات الانتفاضة بالغمة لشدة الخناق الذي فرضته القبائل على الإدارة العثمانية[1] و التي أنهكت قوت السلطة المركزية و شغلتها عن عدوها الحقيقي ألا وهو فرنسا ففي الوقت الذي كان فيه الحصار مضروبا على الجزائر، كان الباي حسن ينهب الأموال و يقتل رجال العلم و الزوايا.

[1]- الزياني، المصدر السابق، ص 249.

خاتمة

خاتمة:

لقد حاولت من خلال هذه الدراسة اعطاء نظرة شاملة للطرق الصوفية بالجزائر في العهد ، حيث أن الطرق الصوفية ارتبطت ارتباطا وثيقا بالعهد العثماني ،رغم ظهورها من قبل فقد انتشرت بشكل كبير في هذه الفترة، فالتواجد العثماني كان له الدور في تطويرها وكانوا بمثابة التربة الخصبة التي أنبتت عدد هائلا من الطرق الصوفية التي كانت مستوحاة من البيئة الاجتماعية و الثقافية للمجتمع الجزائري.

ومن خلال هذا نجد أن الطرق الصوفية خاصة في الفترة العثمانية لعبت دورا هاما في المجتمع الجزائري. فقد كانت تمثل عن طريق زواياها مؤسسات اجتماعية و تواصل العمل الخيري و التعليمي و الوعظ و الإرشاد أمام تراجع السلطة الزمنية التي اعتراها فراغ نهاية الحكم العثماني في الجزائر.

وعلى العموم ومن خلال دراسة موضوع ثورات الطرق الصوفية وأعني بهذا الثورة الدرقاوية و الثورة التيجانية خلصت إلى جملة من الاستنتاجات الموجزة في مايلي:

-تعتبر الطرق الصوفية خاصية من خصائص تاريخ الجزائر العثماني الذي لا يدرس بدونه، فمنذ قرون أصبحت الطرق الصوفية أكثر شعبية وحيوية وتجذر في الأوساط الشعبية، حيث مثلت السلطة الروحية ،ولعبت دور الوساطة بين السلطة العثمانية و الأهالي ،وما زاد من شعبيتها جهادها ضد الهجمات الصليبية على السواحل الجزائرية وما كان لها من وقع في نفوس الشعوب التي وجدت في شيوخ الطرق الصوفية متنفسا لقيادة عملياتها الجهادية ضد الغزوات الأجنبية إذ أعلن ممثلو الطرق الصوفية في الجزائر الجهاد مما جعل السلطات تخص لهم بالاحترام و الاهتمام ،إدراكا منها لأدوارهم الحيوية في المجتمع.

-ارتباط الذهنية الشعبية بالسلطة العثمانية عن طريق شيوخ الطرق الصوفية.

-شيوع الروح الصوفية و تحكمها في توجيه المجتمع الجزائري ،مما دفع بالسلطة العثمانية الحاكمة إلى العمل على كسب ودها و جعلها تحت امرتها.

-اضطر العثمانيون إلى إتباع سياسة مسالمة فاعتمدوا في ذلك على شيوخ الطرق الصوفية ، فأحاطوهم بالدعاية ومظاهر الاحترام، ورفعوا من شأنهم في نظر العامة ، و لم يقتصروا في مجازاة خدماتهم بسخاء.

-لقد أدى اضطهاد الحكم العثماني للأهالي و إرهاقه بالمطالب المخزنية إلى اشتداد سخطه عليه فصار يبحث عن قوة جديدة يحتمي بها ويلتف حولها فوجد ذلك في الطرق الصوفية.

-كانت الطرق الصوفية في الجزائر العثمانية عامل وحدة و تفكيك في آن واحد. عامل وحدة عندما قامت بتعبئة كل طاقات المجتمع من أجل صد العدوان الصليبي على الجزائر، وعامل تفكيك، عندما قامت بتفعيل كل القوى الغاضبة ضد السلطة العثمانية فحركتها في مسيرة مسلحة كلفتها خسائر بشرية ومادية، أثرت بصورة سلبية على كافة مجالات الحياة اليومية.

-تمثل كل من الطريقة الدرقاوية و الطريقة التيجانية مذهبا صوفيا سنيا ،ولكل من الطريقتان أورادها وتعاليمها وأتباعها.

-لم يقتصر دور الدرقاوية و التيجانية على النشاط الديني و الاجتماعي ،بل تعداه إلى المجال السياسي في ظل ضعف السلطة المركزية وزيادة مظالمها من خلال حملاتها المتكررة، وأصبحت تتكلم باسم الأهالي و تدافع عن حقوقهم.

ومن أبرز الدور السياسي للطرقتين الدرقاوية و التيجانية في الجزائر تفجير عدة ثورات نلخص فيما يلي نتائجها:

أ-رغم استعانة الباي محمد الكبير بالدرقاويين لتحرير مدينة وهران من الإسبان سنة 1792م .إلا أنه مع نهاية الحكم العثماني ، تدهورت الأوضاع الداخلية ، ونفذت موارد الجهاد البحري ففرضت السلطة العثمانية مزيدا من الضرائب على السكان الذين ساءت أحوالهم فاستغلت الطرق الصوفية و أعني بهذا الدرقاوية و التيجانية هذه الأوضاع للثورة ضد السلطة المحلية.

ب-لم تكن ثورات الدرقاوة و التيجانية في الجزائر العثمانية مجرد محاولة سياسية منعزلة، عن طبيعة الصراع التقليدي بين السلطة و الأهالي ،بل كانت محاولة لزعزعة النظام العثماني من الداخل بعد زيادة مظالم السلطة وإرهاق الأهالي بالمطالب المخزنية و عجز الأهالي عن تسديدها.

ج-تردي الأوضاع السياسية للبلاد مطلع القرن التاسع عشر ،و ظهر هذا جليا في التعيينات المستمرة للدايات و كذلك البايات في قسنطينة و الغرب ، وهذا ما أثبت قمة الهول الذي أحدثته تلك الثورات.

د-الدهاء السياسي للدعاة التيجانيين و الدرقاويين و التفاف الأهالي حولهم، فاستغلوا العامل الديني في تحريك المجتمع الريفي ، ذي الذهنية البسيطة التي كانت لا تؤمن سوى بالتبعية لإحدى مشايخ الزوايا ،وهذا ما جعل المجتمع الريفي بالجزائر مؤهلا للاستجابة للتمرد ضد السلطة وتقبل كل ما يقوم به دعاتهم.

هـــ-تردي الوضع الاقتصادي و الاجتماعي في بايلك الغرب و الشرق بصفة خاصة نتيجة للميزانية الكبيرة المخصصة للجيوش في المعارك ضد الثورات الصوفية، إضافة إلى الأموال الموجهة لكسب تأييد القبائل المخزنية و القبائل المساندة للثوار الدرقاويين و التيجانيين، فضلا عن الكوارث الطبيعية التي ساهمت في تقليل المنتوج الفلاحي، مما أدى إلى تفشي الفقر و تردي الظروف الاجتماعية وظهور مجاعات قاتلة.

و-التناقص الديمغرافي في الجزائر الناتج عن الثورات و المعارك و هجرة الفلاحين الجماعية نحو الجنوب الصحراوي أو إلى الخارج (تونس أو المغرب الأقصى).

ر-ظهور حركات تمرد واسعة في الأرياف كتحالف الزبوشي الرحماني بميلة مع الدرقاويين.

ك-مواجهة السلطة العثمانية للثورات في الجزائر بشكل عنيف أجبر بعض زعمائها وشيوخ صوفيين آخرين و حتى بعض العلماء، على الانسحاب والاتجاه نحو المغرب و الاحتماء بسلطانه.

ع-فشل الطريقتان الدرقاوية و التيجانية في احتلال موقع سياسي بالجزائر، حيث بتفجيرهما للثورات خسرتا تأييد السلطة والطرق الصوفية الأخرى.

وفي الأخير يمكن القول أنه كل من الطريقة الدرقاوية و الطريقة التيجانية أثرتا على الواقع الاجتماعي و السياسي للجزائر ، ففي نهاية الحكم العثماني أصبحت السلطة المركزية العثمانية في أدنى درجات ضعفها داخليا و خارجيا.

الملاحق

الملحق رقم : 01 إحصاء لأتباع الطرق الصوفية بالجزائر لسنة 1897 م

الطريقة	الزوايا	وكلاء	طلبة	شيوخ	مقدمون	شواش	إخوان	أخوات	أحباء	خلفاء	فقراء	خدمة	مجموع الأتباع
القادرية	33	1	521	4	301	/	21056	2693	/	/	/	/	24609
الشاذلية	11	-	195	9	99	/	13241	652	/	/	/	/	14207
الرحمانية	177	11	676	23	873	849	14016	13186	/	/	/	/	29811
التيجانية	32	9	-	2	165	162	/	/	19821	/	/	/	20191
الشيخية	4	11	-	-	45	/	10020	140	/	/	/	/	10220
الطيبية	8	21	128	-	234	108	19110	2547	/	/	/	/	22156
الدرقاوية	10	-	134	9	76	2	8232	1118	/	/	/	/	9581
العيساوية	10	5	-	1	39	58	3444	33	/	/	/	/	3590
العمارية	26	3	79	3	46	188	284	22	/	36	5774	/	6461
الحنصالية	18	9	176	1	48	102	3485	438	/	/	/	/	4277
السنوسية	1	1	35	1	20	5	874	13	/	/	/	/	950
الزيانية	2	-	-	-	76	4	2673	364	/	/	/	/	3119
الدرقوية	1	-	55	1	16	13	2614	35	/	/	/	/	2735
العروسية	2	-	-	-	3	6	77	5	/	/	/	/	93
الناصرية	3	-	-	1	3	4	468	165	/	/	/	/	644
الشابية	2	-	-	-	/	/	/	/	/	/	/	/	2
الكرزازية	-	-	-	-	78	-	1673	263	/	/	/	/	2014
اليوسفية	1	-	-	1	8	/	1437	/	/	/	/	/	1447
المدنية	2	11	–	14	1	1673	/	/	/	/	/	/	1701
الدردورية	1	-	-	1	1	/	1020	250	/	/	/	/	1273
	349	76	1999	57	2149	1512	224141	27173	19821	36	5774	2500	285587

المصدر : صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر ، تاريخها و نشاطها ، دار البوراق ، بيروت – لبنان ، 2002 م ، ص – ص 136 –137

الملحق رقم 02:زوايا و أتباع الطريقة الدرقاوية بالجزائر

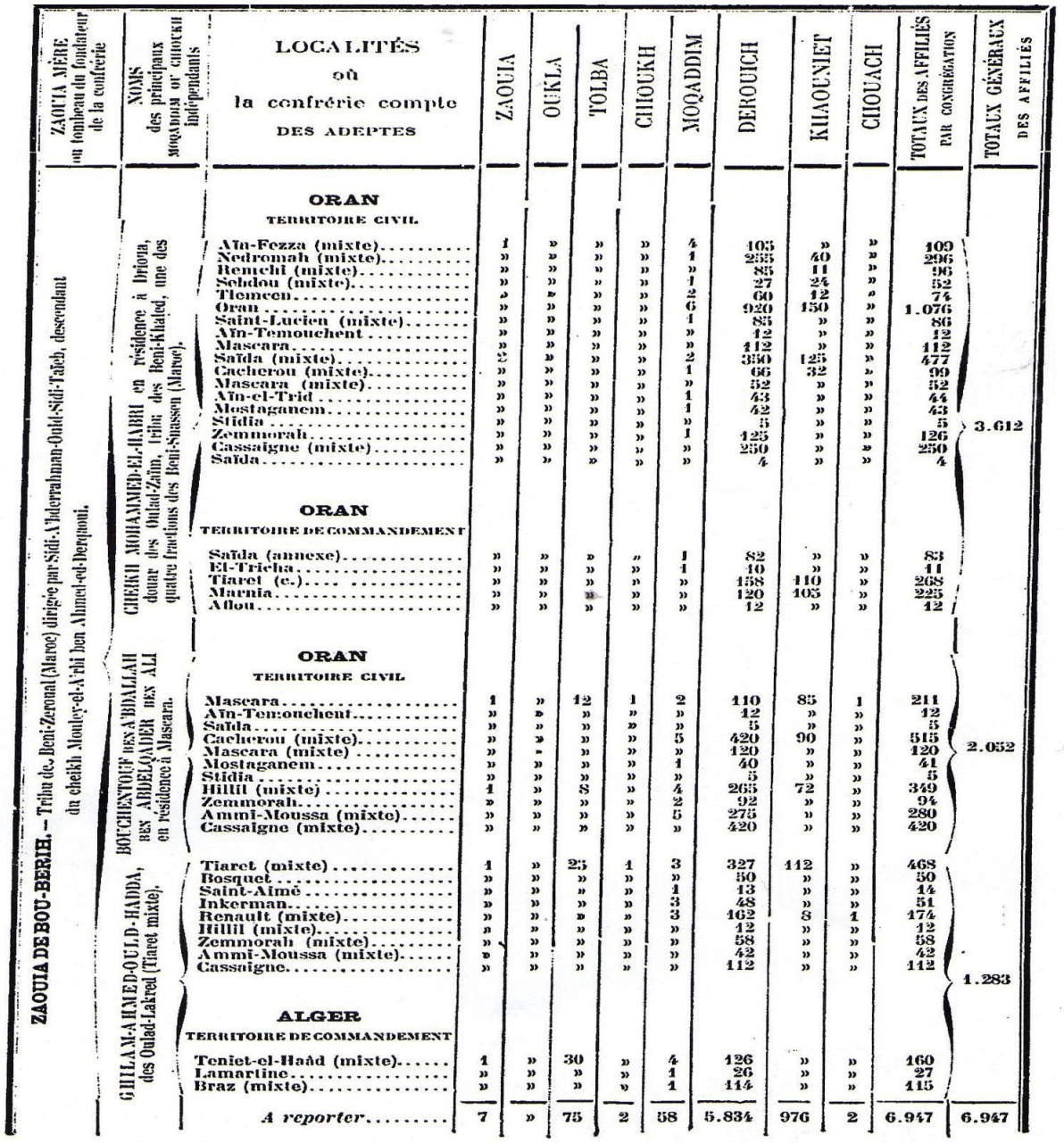

ZAOUIA MÈRE ou tombeau du fondateur de la confrérie	NOMS des principaux moqaddem ou chioukh indépendants	LOCALITÉS où la confrérie compte DES ADEPTES	ZAOUIA	OUKLA	TOLBA	CHIOUKH	MOQADDIM	DERKOUICH	KHAOUNIET	CHIOUACH	TOTAUX DES AFFILIÉS PAR CONGRÉGATION	TOTAUX GÉNÉRAUX DES AFFILIÉS
ZAOUIA DE BOU-BERIH. – Tribu des Beni-Zeroual (Maroc) dirigée par Sidi-Abderrahman-Ould-Sidi-Taïeb, descendant du cheikh Moulay-el-Arbi bon Ahmed-ed-Dergaoui.	CHEIKH MOHAMMED-EL-HABBI en résidence à Iriora, douar des Oulad-Zaïm, tribu des Beni-Khaled, une des quatre fractions des Beni-Snassen (Maroc).	**ORAN** TERRITOIRE CIVIL										
		Aïn-Fezza (mixte)	1	»	»	»	4	103	»	»	109	
		Nedromah (mixte)	»	»	»	»	1	255	40	»	296	
		Remchi (mixte)	»	»	»	»	»	85	11	»	96	
		Sebdou (mixte)	»	»	»	»	1	27	24	»	52	
		Tlemcen	»	»	»	»	2	60	12	»	74	
		Oran	»	»	»	»	6	920	150	»	1.076	
		Saint-Lucien (mixte)	»	»	»	»	1	85	»	»	86	
		Aïn-Temouchent	»	»	»	»	»	12	»	»	12	
		Mascara	»	»	»	»	»	112	»	»	112	
		Saïda (mixte)	»	»	»	»	2	350	125	»	477	
		Cacherou (mixte)	»	»	»	»	1	66	32	»	99	
		Mascara (mixte)	»	»	»	»	»	52	»	»	52	
		Aïn-el-Trid	»	»	»	»	1	43	»	»	44	
		Mostaganem	»	»	»	»	1	42	»	»	43	
		Stidia	»	»	»	»	»	5	»	»	5	3.612
		Zemmorah	»	»	»	»	1	125	»	»	126	
		Cassaigne (mixte)	»	»	»	»	»	250	»	»	250	
		Saïda	»	»	»	»	»	4	»	»	4	
		ORAN TERRITOIRE DE COMMANDEMENT										
		Saïda (annexe)	»	»	»	»	1	82	»	»	83	
		El-Tricha	»	»	»	»	1	10	»	»	11	
		Tiaret (c.)	»	»	»	»	»	158	110	»	268	
		Marnia	»	»	»	»	»	120	105	»	225	
		Aflou	»	»	»	»	»	12	»	»	12	
	BOUCHENTOUF BEN A'BDALLAH BEN ARDELOUAHED BEN ALI en résidence à Mascara.	**ORAN** TERRITOIRE CIVIL										
		Mascara	1	»	12	1	2	110	85	1	211	
		Aïn-Temouchent	»	»	»	»	»	12	»	»	12	
		Saïda	»	»	»	»	»	5	»	»	5	
		Cacherou (mixte)	»	»	»	»	5	420	90	»	515	2.052
		Mascara (mixte)	»	»	»	»	»	120	»	»	120	
		Mostaganem	»	»	»	»	1	40	»	»	41	
		Stidia	»	»	»	»	»	5	»	»	5	
		Hillil (mixte)	1	»	8	»	4	265	72	»	349	
		Zemmorah	»	»	»	»	2	92	»	»	94	
		Ammi-Moussa (mixte)	»	»	»	»	5	275	»	»	280	
		Cassaigne (mixte)	»	»	»	»	»	420	»	»	420	
	GHILAM-AHMED-OULD-HADDA, des Oulad-Lakreul (Tiaret mixte).	Tiaret (mixte)	1	»	25	1	3	327	112	»	468	
		Bosquet	»	»	»	»	»	50	»	»	50	
		Saint-Aimé	»	»	»	»	1	13	»	»	14	
		Inkerman	»	»	»	»	3	48	»	»	51	
		Renault (mixte)	»	»	»	»	3	162	8	1	174	
		Hillil (mixte)	»	»	»	»	»	12	»	»	12	
		Zemmorah (mixte)	»	»	»	»	»	58	»	»	58	
		Ammi-Moussa (mixte)	»	»	»	»	»	42	»	»	42	
		Cassaigne	»	»	»	»	»	112	»	»	112	1.283
		ALGER TERRITOIRE DE COMMANDEMENT										
		Teniet-el-Haâd (mixte)	1	»	30	»	4	126	»	»	160	
		Lamartine	»	»	»	»	1	26	»	»	27	
		Braz (mixte)	»	»	»	»	1	114	»	»	115	
		A reporter	7	»	75	2	58	5.834	976	2	6.947	6.947

المصدر : Octave dépôt ; Xavier coppolani ; les confréries religieuses musulmanes Alger ; 1897 p 510

الملحق رقم : 03 سند الطريقة الشاذلية

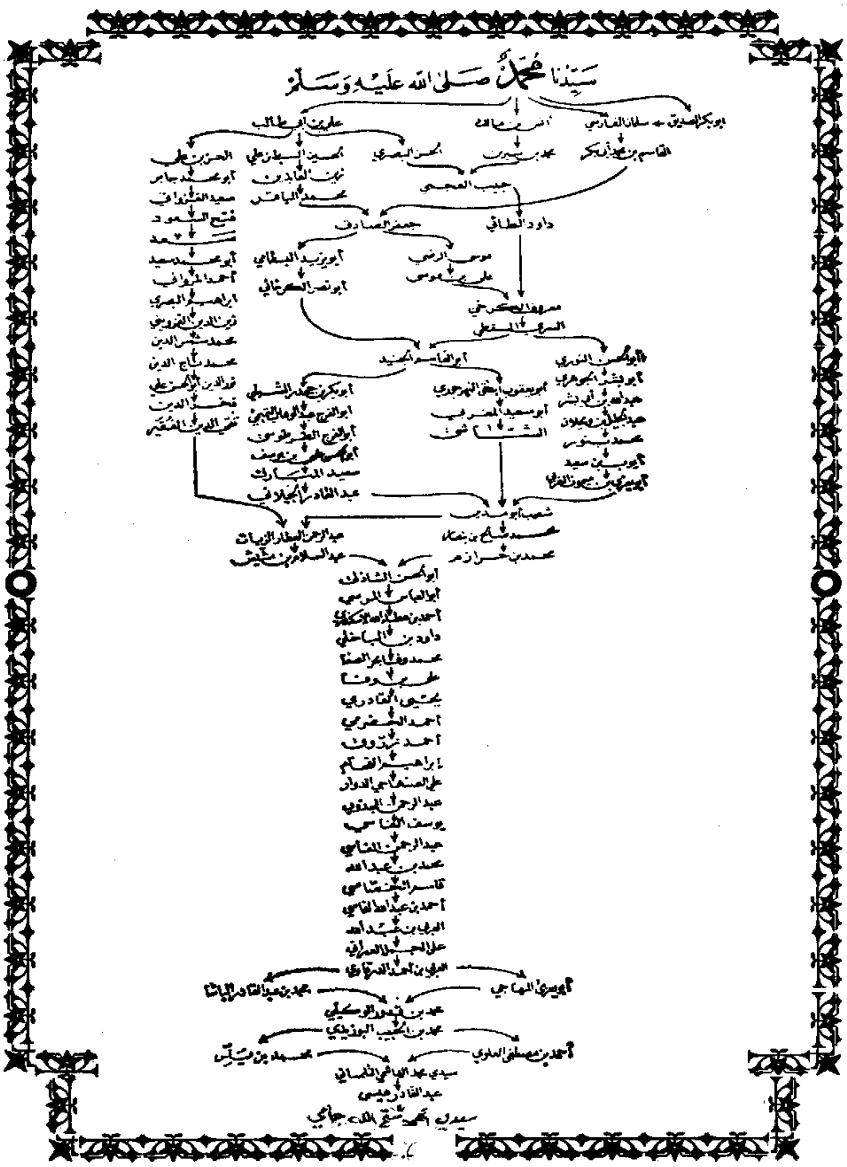

المصدر : www.shazly.com/samad.php;/

الملحق رقم : 04 مخطط انتشار الزوايا الدرقاوية في الجزائر

المصدر:مستخلص من الدراسة

المصدر : مستخلص من الدراسة

الملحق رقم : 05 الشجرة التيجانية المباركة

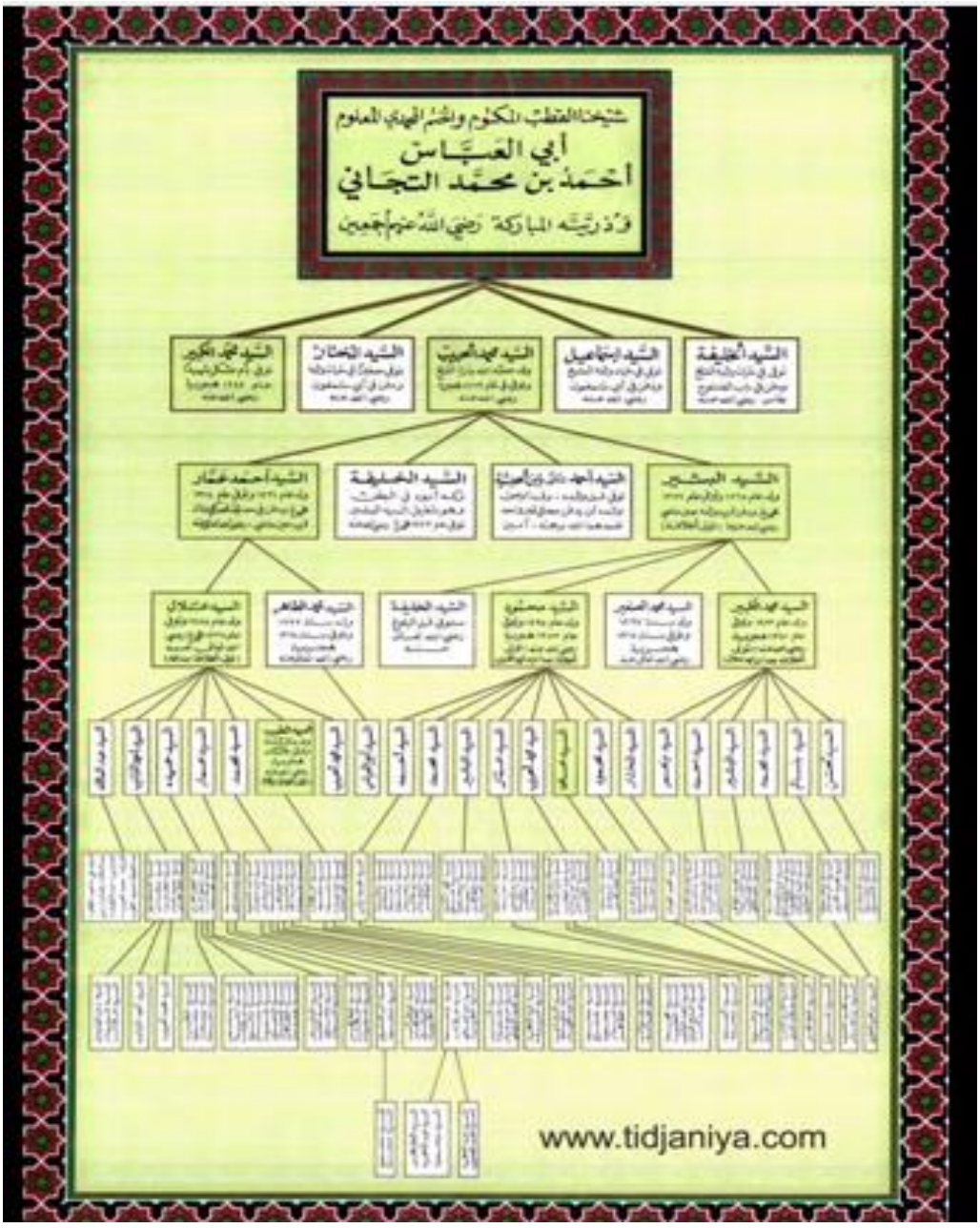

المصدر : Tidjaniya.com © يوم 2015/05/28 الساعة 14:20

الملحق رقم : 06 خريطة انتشار الزوايا التيجانية بالجزائر

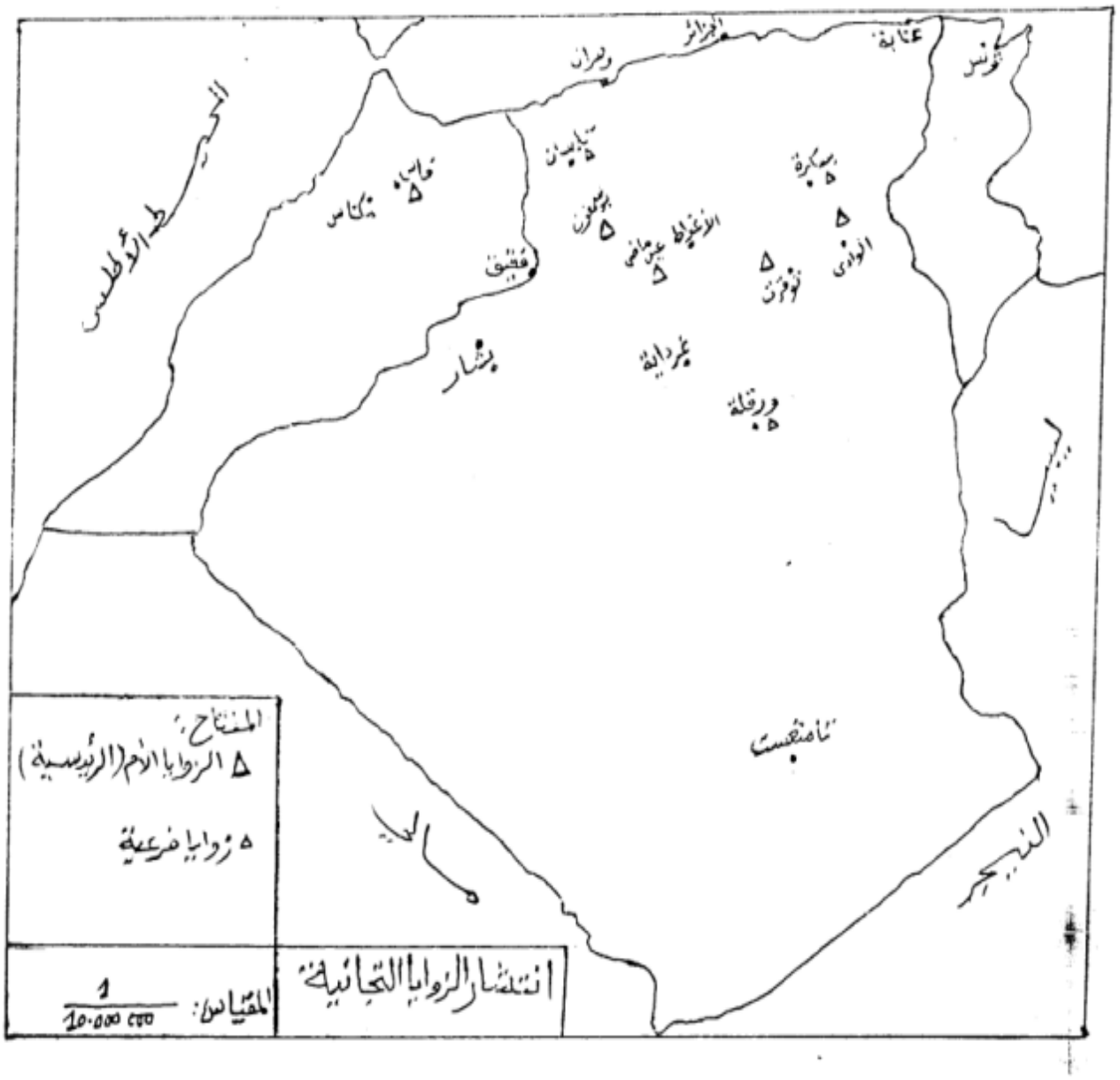

المصدر : بن يوسف تلمساني ، الطريقة التيجانية و موقفها من الحكم المركزي بالجزائر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية: 1998/1997م

الملحق رقم : 07 خريطة ثورة ابن الشريف ببيايلك الغرب الجزائري

المصدر : صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514م /1830م ، ط2 ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2007 م ، ص 203.

الملحق رقم : 08 خريطة ثورة ابن الأحرش ببيايلك الشرق الجزائري

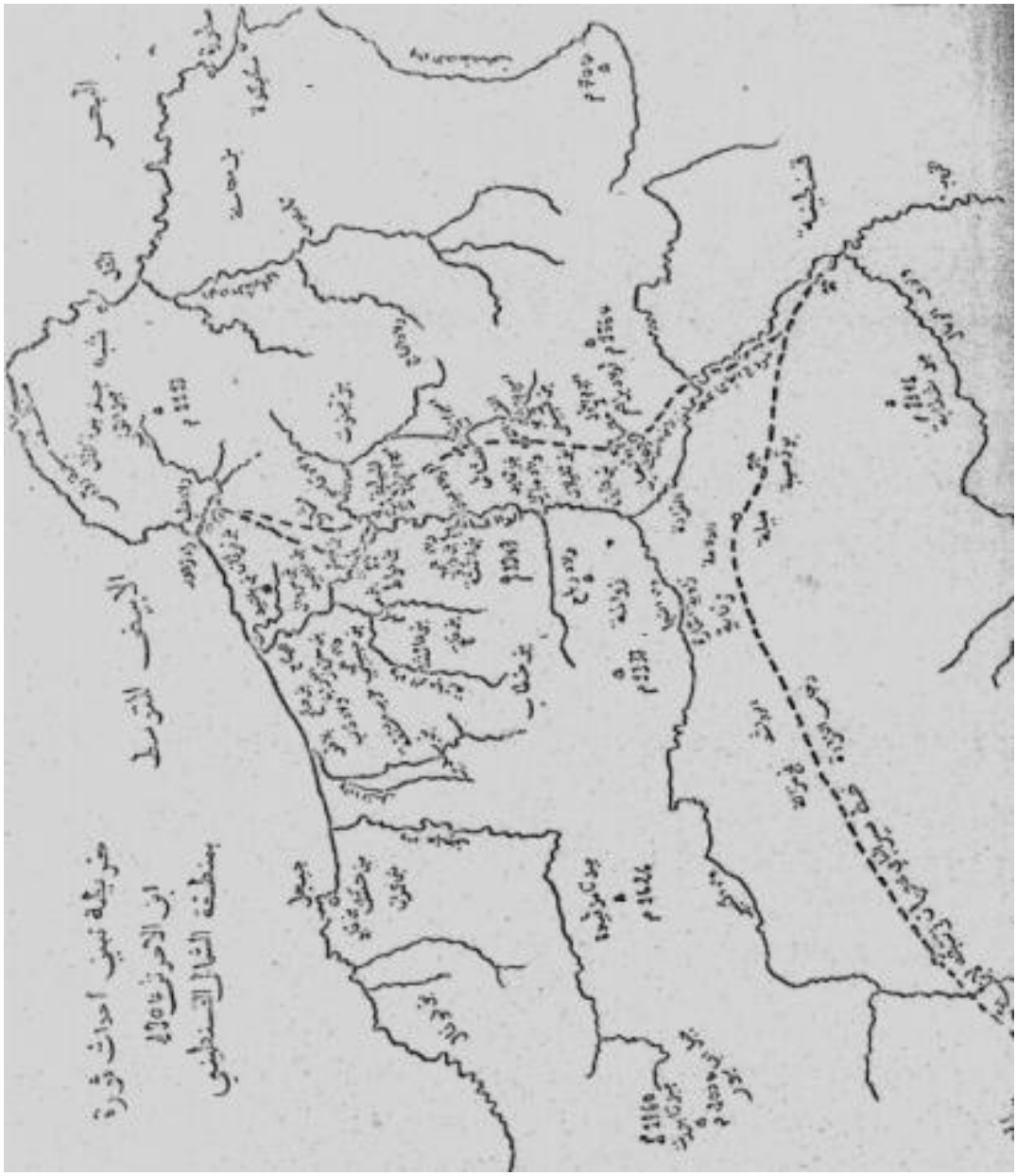

المصدر : ناصرالدين سعيدوني ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984،ص201

البيبليوغرافيا

القرآن الكريم

1. المصادر:

المصادر المكتوبة باللغة العربية

1) ابن الجوزي، تلبيس ابليس ، دار القلم، بيروت، د ت.الأصبهاني أبو نعيم ،حلية الأولياء و طبقات الأصفياء، ج1، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1400هـ.

2) ابن تيمية عبد الحليم ، الفرقان بين الحق و الباطل ، نع: يوسف غزال ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، د ت.

3) ابن تيمية عبدا لحليم ، الصوفية والفقراء ، دار الفتح ، القاهرة، 1984م.

4) ابن خلدون أبو زكريا يحي، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تق وتح: عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م.

5) ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، بيت الفنون والعلوم والآداب، الجزائر، 2006.

6) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج4،,تح :إحسان عباسّ، دار الثقافة، بيروت ، 1971م

7) ابن مريم أبو عبد الله محمد، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، الجزائر ، 1986م

8) ابن ميمون الجزائري محمد ،التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح، تق: محمدبن عبد الكريم، ط 1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1972.

9) ابن هطال التلمساني أحمد ،رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح ،تق: محمد بن عبد الكريم ، النشر عالم الكتاب

10) البكري أبو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، دت.

11) البناني فتح الله بن الشيخ أبي بكر ، أهل اتحاف أهل العناية الربانية في اتحاد طرق الله، ط1، المطبعة العامرة الشرقية، (د-م)،1324هـ،

12) الجزائري محمد بن عبد القادر ،تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، ج1، شرح و تع: ممدوح حقي ،ط:2، دار اليقظة العربية: بيروت، 1964.

13) الجيلاني عبد القادر ، السفينة القادرية، تر: شهاب الدين العسقلاني، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان، 1423هـ/2002م .

14) خوجة حمدان بن عثمان ،المرآة، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري ، ط 2، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1982

15) الراشدي ابن سحنون ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973.

16) الزهار الحاج أحمد الشريف ، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ،تح: أحمد توفيق المدني،، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1980م .

17) الزياني محمد بن يوسف ،دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران،تح:المهدي البوعبدلي، ط1،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1978.

18) السهروردي عبد القهار بن عبد الله ،عوارف المعارف، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1403هـ.

19) العطار أحمد المبارك ، تاريخ حاضرة قسنطينة، تح و تع: رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1982م.

20) العنتري محمد الصالح ، سنين القحط و المصبغة– مجاعات قسنطينة، تح و تق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974م.

21) الفاسي أحمد ، حاشية ابن حمدون على ميارة ، ج1، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، ميارة ، د ت .

22) القشيري أبو القاسم ، الرسالة القشيرية ، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، 1418 هـ/1998م.

23) الكلاباذي أبوبكر محمد ،التعرف بمذهب أهل التصوف ، تر: محمود أمين السوادي، ط2، مكتبة الكلبات الأزهرية، القاهرة، 1980.

24) مذكرات أحمد باي وبوضربة و حمدان خوجة ، تق: العربي الزبيري، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

25) المزاري ابن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار مدينة وهران ،والجزائر و إسبانيا، وفرنسا أواخر القرن 19م، ج1، تح: يحي بوعزيز ، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1964م.

26) مسلم بن عبد القادر ، أنيس الغريب و المسافر، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.

27) الوزان الحسن ، وصف إفريقيا،تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م

المصادر المكتوبة باللغة الأجنبية

28) DE NEVEU, Les khouans ordre religieux chez les musulmans de l'Algérie, 2éme Ed, Imp. De A.Guiyot, Paris, 1846.

29) Octave dépôt ; Xavier coppolani ; les confréries religieuses musulmanes ;Alger ; 1897 .

30) RINN, LOUIS, Marabouts et Khouans étude sur l'Islam en Algérie, A.Jourdan, Alger, 1884.

المصادر الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية:

31) شلوسر فندلين ، قسنطينة أيام أحمد باي 1830-1837م، تح، تع: أبو العيد دودو، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2006م

32) يفاير سيمون ، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تع، تق: أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974م.

2.المراجع

المراجع المكتوبة باللغة العربية

33) أبو النظر علي أحمد ، درة الأسرار و تحفة الأبرار ، (د-ن)، الاسكندرية ، 1935

34) أعميراوي أحميده ، رسالة الطريقة ا لقادرية في الجزائر ، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، د ت.

35) أعميراوي أحميده ، علاقات بايلك الشرق بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، الجزائر، دار البعث قسنطينة، د ت.

36) بلغيث محمد أمين ، فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي -أنتير بسيني -، الجزائر ،2007.

37) بلغيث محمد أمين ،الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف الطريقة الشاذلية،ط2، دار كتاب الغد المصادر الأجنبية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 2007.

38) بن سيد علي السيد نور ، التصوف الشرعي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2000

39) بن عامر توفيق ،دراسات في الزهد والتصوف، ط1 ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا- تونس، 1981.

40) بوعزيز يحي ، الوجيز في تاريخ الجزائر(الجزائر القديمة والحديثة) ،ج 1 ،ديوان المطبوعات الجامعية، ،2007م.

41) بوعزيز يحي ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين، ج1، ط1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،1996

42) بوعزيز يحي ، حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الغربية، مركز الوثائق للعلوم الإنسانية ، وهران ،1982م.

43) بوعزيز يحي ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب، ج1 ، دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2004م .

44) الجيلالي عبد الرحمن, تاريخ الجزائر العام ، ج3، دار الثقافة ، بيروت ، 1980

45) حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، ج2، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1985 [1]

46) حسن أحمد علي ، التصوف جدلية وانتماء ، منشورات اتحاد كتاب العرب، سورية ، 1990

47) حقي فليب ، تاريخ العرب، ج2 ،ط4، دار الكشاف للنشر والطباعة، (د-م) 1965

48) الذهبي ،سير أعلام النبلاء، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، 2003.

49) الراسي جورج ،الإسلام الجزائري- من الأمير عبد القادر إلى أمراء الجماعات- ، دار الجديد، بيروت، 1972م

50) الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الاحتلال 1830م، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1972م.

51) السائح علي حسن، لمحات من التصوف و تاريخه، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،(د-م)، 1994

52) سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن(10-14هـ)/(16-20م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، 1981

53) سعيدوني ناصر الدين /المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984.

54) سعيدوني ناصر الدين ، الجزائر منطلقات و آفاق "مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية"، ط $_1$، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2000.

55) سعيدوني ناصر الدين ،دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر(العهد العثماني) ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984.

56) السمرقندي نصر ، تنبيه الغافلين ، القاهرة، د ت.

57) شرف جلال ، دراسات في التصوف الإسلامي ، دار المعرفة الجامعية، الجزائر، د ت.

58) صالح عبد القادر ،العقائد والأديان ، ط$_1$ ، دار المعرفة، لبنان،2003

59) الصغير عبد المجيد ، إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 19/18.(أحمد بن عجيبة ومحمد الحراق)، ط$_1$، منشورات دار الآفاق الجديدة، الغرب ،1988.

60) عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514م/1830م،ط$_2$،دار هومة للطباعة و النشر والتوزيع الجزائر،2007م.

61) عبد القادر عيسى ، حقائق عن التصوف، ط$_{15}$، دار العرفان، سوريا حلب، 1427 هـ/2006م

62) العقبي صلاح مؤيد ، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر، تاريخها و نشاطها ، دار البوراق، بيروت – لبنان ، 2002م.

63) عمورة عمار ، **الجزائر بوابة التاريخ**، ج $_2$ ، دار المعرفة، الجزائر، 2006م.

64) غني قاسم ، تاريخ التصوف في الاسلام، تر : صادق نشأت ، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د ت.

65) قاسم عبدالغني ،المذاهب الصوفية ومدارسها ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 2006 .

66) المدني أحمد توفيق ، محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766-1791)،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

67) مريوش أحمد ، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، الجزائر منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، 2007م.

68) مفتاح عبد الباقي ،أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، مدونة الولي الصالح سيدي بن عزوز،(د-م)،دت.

69) الميلي مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3 ، الجزائر مكتبة النهضة الجزائرية، د ت.

70) النعيم عبد الله ، **الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية للاراء(وات-بروكلمان-قلهاوزن)مقارنة بالرؤية الاسلامية ،ط1**، المعهد العلمي للفكر الإسلامي ،د م ط، د ت .

المراجع العربية المترجمة إلى اللغة الفرنسية:

71) Mouloud gàid **; l'Algérie sous les turques** ; maison tunisienne de l'Édition ;société nationale d'Édition et de diffusion ; Alger ; 1974 .

المراجع باللغة الأجنبية:

72) Chevalier Corine. Les trente premières années de letrovale d'Algérie « 1510-1541»

3.المعاجم و الموسوعات:

المعاجم:

73) ابن منظور جمال الدين ، لسان العرب، مج: 4+11، ط2، دار الصدارة، بيروت، 1384هـ/1992م.

74) أحمد رضا، معجم متن اللغة، مج5، منشورات مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1377هـ/1985م.

الموسوعات:

75) بن بريكة محمد، موسوعة الطرق الصوفية-الطريقة القادرية-، ج3 ، دار الحكمة، الجزائر، 2007م .

76) الحنفي عبد المنعم ،الموسوعة الصوفية(اعلام التصوف المفكرون والطرق الصوفية) ، دار الرشاد العربية للطباعة و النشر، مصر،1992.

77) غربال أحمد شفيق ،الموسوعة العربية الميسرة، مج2، ط2، دار الجيل، بيروت، القاهرة، تونس، 2001م.

78) الكيالي عبد الوهاب ، الموسوعة السياسية، ج1 ، المؤسسة العربية، (د–م)، 1979م

79) الموسوعة العلمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشرو التوزيع، ط2،مج2.

4. الدوريات:

المقالات باللغة العربية:

80) بوعزيز يحي ، وثائق جديدة حول محازبة الأمير عبد القادر للشيخ التيجاني "في المجلة التاريخية المغربية،العدد55،56،السنة 16، تونس،1989م.

81) سعيدوني ناصر الدين ، "ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي و الانتفاضة الشعبية، الثقافة، ع78، 1983م، الجزائر.

82) محمد العربي الزبيري، "مقاومة الجزائر للتكتل الأوروبي قبل الاحتلال"، الأصالة، ع 12، 1983م.

83) مسعود العيد ، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، قسنطينة مجلة سيرتا ع 3، 1980.

84) الميلي مبارك، التعليم الديني بالجزائر وحظ الزوايا منه ،مجلة الشهاب، ع 13، فيفري 1926م.

المقالات باللغة الأجنبية:

85) BOYER, PIERRE, "Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans larégence d'Alger 16éme-19éme siècle" in R.O.M.M, N°1, 1966 .

86) VAYSSETTE,"Histoire de Constantine sous la domination Turque" in R.N.M.S.A.C, 2éme série, vol 2, 1862.

5.الرسائل الجامعية:

87) بن عبد المؤمن بهية ، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير، وهران كلية الحضارة الإسلامية، 2006م

88) بوشنافي محمد ،الجيش الانكشاري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير اشراف: بوعلام بلقاسمي ،جامعة وهران.

89) تلمساني بن يوسف ، الطريقة التيجانية و موقفها من الحكم المركزي بالجزائر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية: 1998/1997م

90) خديجة دوبالي، رسائل أحمد باي إلى حسين باشا (1240-1245هـ/1826-1827م)، دراسة و تحليل، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، إشراف بن نعيمة عبد المجيد ،جامعة وهران 1426-1427هـ/2005-2006م.

6.الملتقيات الوطنية و المحاضرات:

الملتقيات الوطنية:

91) زيزاح سعيدة ، ظاهرة الطرق الصوفية بالجزائر الطريقة التيجانية نموذجا، ج2، منشورات جامعة أدرار ،ع 1، خاص بالملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الإسلام و التحديات المعاصرة، جامعة العقيد أحمد دراية ، أدرار، الجزائر ،2009/2008م.

92) وصيف خالد ، نشأة الطريقة التيجانية وتطورها، الملتقى الدولي للإخوان التيجانيين أيام 23،24،25، نوفمبر 2006م، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ،الأغواط- الجزائر.

المحاضرات:

93) الشلالي عبد الوهاب ،محاضرات في البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري في العهد العثماني، قسم العلوم الانسانية ،جامعة الشيخ العربي التبسي ،تبسة، 2007م/2008م.

7.المواقع الإلكترونية:

94) / الأسود سلطان ، الطريقة الجامعة الخلوتية الرحمانية، الموقع الإليكتروني: http://www.delraleman.com./ بتاريخ 2015/03/16، بتوقيت 10.25سا 2015/02/06م، بتوقيت 10.30سا htt://www. alsoufia ;com_

95) بن عتو بن عون ، الوجود العثماني في الجزائر و انعكاسه على الحياة الدينية، الموقع الإليكتروني : 2015/03/15م، بتوقيت 09.20 سا /www ;ulum ;nl

96) حبار مختار ، التصوف والصوفية في الجزائر، الموقع الاليكتروني:-http//www almahdy/netبتاريخ 2015/03/15 بتوقيت 16:30سا

97) عبد القادر محمد مصطفى ، الطريقة الشاذلية، الموقع الاليكتروني :
htt ;//www.alsoufia.com/ بتاريخ 2015/02/06 م ، بتوقيت 10;30 سا

98) العربي محمد ، فرق و مذاهب- الطريقة الشاذلية-، مجلة الراصد، ع 42، ذي الحجة 1427هـ، الموقع الإليكتروني htt://www. alrased ;net/ بتاريخ 2015/03/25م، بتوقيت 17.00سا

الفهرس العام

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
البسملة.....	
التشكر.....	
الإهداءات.....	
المقدمة.....	أ – ه
فصل تمهيدي : نبذة تاريخية عن التصوف	
المبحث الأول :مفاهيم عامة حول التصوف.....	06
أ- أصل مصطلح التصوف و اشتقاقه.....	06
ب-مفهوم التصوف و اصطلاحه	09
المبحث الثاني :ظهور التصوف في الاسلام (بدء التصوف و تطوره)	12
المبحث الثالث: ظهور التصوف في الجزائر (المغرب الأوسط)	17
✓ انتشار التصوف بالجزائر.....	19
الفصل الأول : الطرق الصوفية في الجزائر في العهد العثماني	
المبحث االأول :اهم الطرق الصوفية في الجزائر العثمانية.....	22
1) الطريقة القادرية.....	22
أ) التعريف بالطريقة.....	22
ب)عبدالقادر الجيلاني.....	22
ج) تعاليم الطريقة القادرية.....	23
د) تأسيس الطريقة القادرية في الجزائر.....	24
2) الطريقة الرحمانية.....	26
أ) التعريف بالطريقة.....	26
ب)مناهجها.....	27

3) الطريقة التيجانية..... 28
أ) التعريف بالطريقة..... 28
ب) مناهج بالطريقة..... 29
4) الطريقة الشاذلية..... 30
أ) التعريف بالطريقة..... 30
ب) مبادئها و افكارها بالطريقة..... 31
ج) كيفية الانتساب الى الطريقة و اذكارها..... 32
د) ظهورها في الجزائر..... 33
5) الطريقة الدرقاوية..... 33
أ) التعريف بالطريقة..... 33
ب) مناهج الطريقة..... 34
ج) تعاليم الطريقة..... 35
د) اهم شعارات الدرقاوة..... 36
المبحث الثاني :دور الطرق الصوفية في العهد العثماني..... 37
أ) دورها في الميدان الديني و الثقافي..... 37
ب) دورها على الصعيد الاجتماعي..... 38
1. الدور الايجابي..... 38
2. الدور السلبي..... 40
المبحث الثالث :تحالف الطرق الصوفية مع السلطة العثمانية..... 41

الفصل الثاني : صراع الطرق الصوفية مع السلطة العثمانية

المبحث الأول :اسباب صراع السلطة العثمانية هع الطرق الصوفية..... 50
أ) الأسباب السياسية..... 51
ب)الأسباب الاقتصادية..... 51
ج) الأسباب العسكرية..... 53
د) الأسباب النفسية و الاجتماعية..... 53
✓ الحركات التمردية قبل تمرد الطريقة الدرقاوية و التيجانية..... 54

المبحث الثاني : تمرد الطريقة الدرقاوية على السلطة العثمانية..... 55
1) ثورت الطريقة الدرقاوية بالشرق الجزائري (تمرد ابن الأحرش الدرقاوي)..... 55
أ) الهجوم على قسنطينة 1803 م 57
ب) معركة الزهور..... 57
2) ثورة الطريقة الدرقاوية بالغرب الجزائري 1218 هـ / 1802 م(تمرد بالشريف الدرقاوي)..... 59
المبحث الثالث : ثورة الطريقة التيجانية 1221 هـ / 1806 م 64
المبحث الرابع : نتائج صراع السلطة العثمانية مع الطرق الصوفية. 68
الخاتمة..... 71
الملاحق..... 75
بيبليوغرافيا..... 85
الفهرس العام..... 95